

المكتبة الناريخية  
بإشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

٤

# طائفة الاسماعيلية

تاريخها . نظرها . عقائدها

للدكتور محمد كامل حسين

أستاذ الأدب المصري بكلية الآداب بجامعة القاهرة

مكتبة الفتوة والطبع  
مكتبة النهضة المصرية  
٩ شارع عدلي - القاهرة

الطبعة الأولى

١٩٥٩

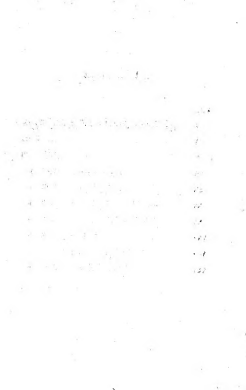
القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

## فهرس الكتاب

صفحة

تقديم الكتاب بقلم الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ...	٥
مقدمة ... ..	١
الفصل الأول : دور السحر ... ..	٣
» الثاني : دور الظهور ... ..	٢٩
» الثالث : الإسماعيلية القريبة ... ..	٤٦
» الرابع : الإسماعيلية الشرقية في فارس ... ..	٦٢
» الخامس : الإسماعيلية الزارية في الشام ... ..	٩١
» السادس : أنا خان ... ..	١١٠
» السابع : أسرار نظام الإسماعيلية ... ..	١٣٠
» الثامن : عقائد الإسماعيلية ... ..	١٤٧



# بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم الكتاب

بقلم الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

لا أكاد أعرف أستاذاً تمسق موضوع تخصصه ، فأخلص له ، وبذل له من ذات نفسه وقلبه وعقله ، وفرغ له حتى لا يكاد يريم عنه ، كأفضل زميلي الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين .  
قد تخصص الصديق الفاضل في الدراسات الإسماعيلية منذ سنوات بعيدة ، وحشد لها جهوداً ، ووقف عليها نشاطه ، حتى أصبح — بحسب — من روادها الأول ، لا بين الباحثين بالصادح حسب ، وإنما بين سائر علمائها في شتى أقطار الأرض .

وقد استطاع الدكتور كامل حسين بوسائل مختلفة — وله في ذلك قصص شائعة — استطاع أن يجمع لنفسه طائفة كبيرة من الكتب والرسائل المخطوطة في تاريخ الفرقة الإسماعيلية وعقائدها ، قل — بل ندر — أن توافرت لغيره من الباحثين في هذا الحقل . ولا غرو فقد عرف عن الإسماعيليين حرصهم الشديد على ترانهم

الفكرى حتى يثبتوا به أن يرى النور . فكيف على قراءتها وفك  
 طلاسمها حتى استوى له تاريخ الإسماعيلية وعقائدهم ، وقد نشر  
 من تلك المخطوطات طائفة كبيرة ، ثم هو لا يزال يعمل في تحقيق  
 ما بقي منها تمهيداً لنشره . وحسبك أن تطلع على قاعة الكتب  
 التي نشرها الدكتور محمد كامل حسين في الأدب الإسماعيلي  
 والعقائد الإسماعيلية والدعوة والمطبخ لتقدر الجهد المنيف الذي  
 بذله — في دأب متصل — لخدمة هذا الجانب المأم من التراث  
 الفكرى والدينى والتاريخى لتلك المفرقة الإسلامية الشهيرة .

على أن الدكتور كامل حسين لم يقنع بالدراسة النظرية لهذا  
 التراث في مصادره الأولى ، وإنما أضاف إلى ذلك خيرات عملية  
 نتيجة لاتصاله الشخصى ببعض كبار الإسماعيليين ، وفي مقدمتهم  
 زعيمهم « أفا خان » الراحل . وقد زار الدكتور أكثر مما كثر  
 الإسماعيلية في الشام والعراق والهند وغيرها ، ودرس حياتهم  
 عن كثب ، وناقشهم آراءهم ، ووقف منهم على تفسير بعض  
 ما لمحض من معتقداتهم .

ومن الحق أن نذكر أن تمشق الدكتور محمد كامل حسين  
 لموضوع الإسماعيلية وطول صحبته له لم يصرقاه عما ينبغي أن يتوافر  
 للعالم من زجاجة الحكم والبعد عن الهوى والزام القصد  
 في أحكامه .

(ز)

والواقع أن الدكتور كامل حسين قد اتهم دائماً وجه الحق  
في كل ما كتب سواء رضى عنه الإسماعيلية أو سخطوا عليه .  
والكتاب الذى تقدمه له اليوم عن « طائفة الإسماعيلية :  
تاريخها ونظمها وعقائدها » خير مثل لذلك . والكتاب — على  
صغره — ثمرة لدراسات مستفيضة وخبرات شخصية للؤلف .  
ولا شك أن القارئ سيقدر أن وراء كل موضوع من الموضوعات  
التي يتناولها هذا الكتاب حشد كبير من الاطلاع والدراسة  
لا يقوى عليه إلا من ملك ناسية بحثه ، حتى ليصبح — بين يديه —  
أمراً سهلاً مبسّراً ، مجلّواً للناس في تلك الصورة الرائقة الواضحة .  
نرجو الله أن ينفع به . وعلى الله قصد السبيل .

أحمد عزت عبد الكريم

١٢ يناير ١٩٥٩





## مقدمة

قام الاسماعيلية بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلدان مختلفة من العالم الاسلامي ولهم أثر في التاريخ لا نستطيع أن ننكره ، ولا أكاد أعرف فرقة من الفرق الإسلامية كان لها ما للاسماعيلية من تاريخ طويل حافل بالحوادث والتبدلات ، فلا غرو أن نسمع بإهتمام العلماء بهذه الفرقة منذ ظهورها على مسرح الحياة السياسية . ووضعوا عنها من المؤلفات قديماً وحديثاً ما لم يوضع مثله عن فرقة أخرى ، فالذين خالفوا الاسماعيلية طعنوا رجالها وفندوا آراءهم الدينية ، وقام علماء الاسماعيلية بدفع الاتهامات التي انصبت عليهم وردوا على مخالفهم ، فكان الجدل بين الاسماعيلية وأعدائهم سبباً في ثروة علمية شغلت الفكر زمناً طويلاً ، بل لا تزال الكتب تواف عن الاسماعيلية إلى الآن .

وأسس الاسماعيلية أكثر من دولة لهم ، وفي بقاع مختلفة من البلدان الإسلامية . وكانت لهم دولة في المغرب امتدت إلى مقلية وجنوب إيطاليا ، وكانت لهم دولة في مصر ، وأخرى في اليمن ، وأسسوا دولة في بلاد قرس ، وكانت لهم قلاعهم وحصونهم في الشام ، ومن الطبيعي أن يكون لهذه الدول أثر في مجرى الحوادث في المصور الوسطى ، حتى خشي بأس الاسماعيلية كل الدول

المجاورة لهم بل والبيعة عنهم ، وكانت بينهم حروب عنيفة قاسية امتدت ولشعبت . كما كان للاسماعية مذهب ديني خاص دانوا الله به وعملوا على نشره في العالم بالدعاية للنظمة تنظيمها دقيقاً حتى استجاب لهم جمهور كبير من الناس . وهذا الكتاب محاولة مبسطة للتعريف بتاريخ هذه الفرقة وبأهم الأدوار التي صرت بها الطائفة مع شرح مبسط لنظمها وبعض عقائدها .

وأرجو أن أكون قد وفقت في تقريب ذلك كله إلى جمهور المتقنين . والله تعالى ولي التوفيق

محمد كامل حسين

الجزء في أول يناير سنة ١٩٥٩

## الفصل الأول

### دور الستر

طائفة الاسماعيليه فرقة من فرق الشيعة ، أخذت أصولها  
الذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الاسماعيليه ،  
تلك الأصول التي لم تكن في أول أمرها تختلف عما ذهب إليه  
غيرهم من المسلمين في شيء ، وكان الخلاف ينحصر في نقطة واحدة  
ليست من صميم الدين في شيء ، إنما كان الاختلاف حول الإمامة  
بفد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الشيعة جعلوا الإمامة حقاً  
شرعياً للإمام علي بن أبي طالب ولأبنائه من بعده ، وذهبوا إلى  
أن هذا الحق الشرعي هو بأمر من الله سبحانه وتعالى ونصرت منه  
إلى نبيه الكريم ، فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم في عودته  
من حجة الوداع رُل بالجعنة « بين مكة والمدينة » عند غدير  
بمرف بدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهناك  
جاء الوحي بالآية القرآنية الكريمة ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ  
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا يَكُنْ فَرَسًا ) ، والله يمسك  
من الناس ) . ويسمى الشيعة في حديثهم عن ذلك فيقولون إن  
النبي صلى الله عليه وسلم صعد بأمر ربه وأمر بالصلاة ، حتى إذا

اتقى منها خطب الناس ، وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب ،  
فكان مما قاله عليه السلام في خطبته : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلُ  
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَلَسْتُمْ  
تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .  
قَالَ : مَنْ كُنْتُ مُوَلَّاهُ فَعَلَى مُوَلَّاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِّ مَنْ وَالَّاهُ ، وَمَا  
مِنْ عَادَاهُ ، وَانْصِرْ مِنْ نَصْرِهِ ، وَاخْفَلْ مِنْ خُدَّاهُ ، وَأَمْدِ الْحَقَّ  
مَعَهُ حَيْثُ دَارَ » . فعندما سمع الصحابة رضوان الله عليهم قول  
الرسول الكريم هنا ، علموا علماً بأنه أصبح مولى جميع المسلمين . وفي  
مسند أحمد بن حنبل : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان  
أول المهتدين لعل . فالشيعة على خلاف مذاهبيهم ونبأين أهوائهم  
يقتنون هذا الحديث النبوي ، ويستبرون يوم التقدير عيدا لهم  
لا يزالون يحتفلون به إلى يومنا هذا . هذا هو الأساس الأول  
للقيدة الشيعة علمية في ولاية علي بن أبي طالب ، وبذلك رفضوا  
الاعتراف بإمامة الشيخين أبي بكر وصخر وإمامة عثمان بن عفان ،  
ومن الطبيعي ألا يترغوا بالأمويين أو العباسيين أو غيرهم من  
الظلفاء . هذا هو الخلاف الأول الذي قام بين الشيعة وجمهور أهل  
السنة والجماعة ، وكان هذا الخلاف في أول الأمر لا يعدم في  
قليل أو كثير من سائر المسلمين . ولكن بمرور الزمن أصبح هذا  
الخلاف أسلا من أصول القيدة الشيعة ، وفرضا من فرائض  
الدين عندهم وأساس فلسفتهم المذهبية ، وعنه تفرعت مسائل

أخرى وآراء جديدة ، تجمعت على مدى الأيام وتبلورت وكونت العقيدة الشيعية التي نعرفها الآن .

رأى الشيعة في أول الأمر أن أمور دينهم يجب أن تؤخذ عن أعقاب النبي (ص) الذين تسلسلوا من أولاد فاطمة بنت النبي وزوجها علي بن أبي طالب ، وأن حفدة النبي أحق الناس بأن يعرفوا حقيقة رسالة جدم وأن يفهموها حق الفهم وأن يشرخوا بها كما بشر بها جدم محمد (ص) ، فهم وحدهم ورثة علم النبي خصهم النبي بذلك ليكونوا حجة على المسلمين من بعده ، وذلك كله بأمر من الله تعالى ، الذي نص على ولاية علي بن أبي طالب يوم هدير خم في آية النص التي ذكرناها من قبل ، والتي فهمها الشيعة وأولوها تأويلاً يتفق مع مذهبهم وآرائهم في ولاية علي وأبنائه من بعده ، على أن يكون الابن الأكبر من أهل بيت الرسول هو صاحب الحق الشرعي في أن يكون القائد الروحي للمسلمين ، بل أن يكون في الوقت نفسه حاكم المسلمين . ومعنى آخر ، رأوا أن أكبر أفراد الأسرة سناً هو صاحب السلطان النهائي والسياسي معاً ، لارتباط الدين والسياسة في تلك الأيام بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال . فالشيعة على هذا النحو طالبوا بقيام النظام الثيوقراطي في الإسلام ، هذا النظام الذي كان معروفاً في المصور القديمة عند كل الدول مثل المصرية والبابلية واليونانية والرومانية

وغيرها من الدول ذات الحضارات القديمة التي كانت قبل الإسلام ،  
 ففي حضارات هذه الدول القديمة كان الشعب ينظر إلى الملك  
 نظرة دينية بجانب النظرة الدنيوية ، وكانت الحكومات حكومات  
 إلهية ، بمعنى أن الملك كان إلهاً مقدساً ، فله أن يحكم البلاد حكماً  
 مطلقاً دون أن يجرؤ أحد أن يتنازعه هذا الحكم على أية صورة  
 كانت ، مهما كان هذا الملك ظاهراً مستبداً أو شريعياً عادلاً أو ملجئاً  
 خليعاً ، فالحكم له بأمر الآلهة التي عبدها الشعب ، ومن هذه  
 الآلهة كان ملوكهم . هذا النظام التيوقراطي كان عند الأمم  
 القديمة التي سبقت الإسلام ، ولكن انتقلت هذه الآراء القديمة  
 إلى بعض من دلت بالإسلام من الشعوب التي عرفت هذه النظم  
 التيوقراطية ، وتسلبت هذه الآراء القديمة عندهم على الرغم مما  
 جاء به الإسلام وما ورد في القرآن الكريم عن النبي (ص) نفسه  
 (وما أنا إلا بشر مثلكم) . ولكن تغلبت الآراء القديمة في  
 نفوسهم ، فكان لها أثر أقوى من تغلب دين الإسلام الجديد .  
 وإقراراً للحقيقة نذكر أن آراء الشيعة التيوقراطية في أول الأمر  
 كانت معتدلة جداً بالنسبة إلى ما كان عليه الأمر عند الشعوب  
 القديمة ، فإن الشيعة في أول أمرهم لم يؤلهوا علياً ولا أحد  
 أحفاده ، بالرغم مما أسبغوه على الأئمة من مناقب وفضائل تطورت  
 إلى حد بعيد بعد القرن الثالث للهجرة .

كان الدين قوام الحياة في العالم القديم والوسيط ، ففي القرون

الثلاثة الأولى للهجرة كان شعور السلفين يزداد على الحاكين لانصراف بعض الحكام عن التل الدينية الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم وفي سنة الرسول عليه السلام ، وتطلع الناس إلى أن يعود حكم الخلفاء الراشدين ، وها هو مالك بن أنس وهو من أئمة أهل السنة والجماعة يدي سخطه وغضبه على حكم العباسيين ، وكان يتمنى لو عادت أيام الخلفاء الراشدين ، أو أيام الأمويين وخلاصة أيام عمر بن عبد العزيز . فمالك بن أنس مثل من أمثلة عديدة نستطيع أن نأخذ منها شعور السلفين ، ولا سيما جماعة العلماء والفقهاء نحو الحاكين . ومن الطبيعي أن هذا الشعور كان يبرر عن شعور غيرهم من السلفين ، أما جماعة الشيعة في هذه المصود فكان شعورهم نحو الحاكين هو نفس شعور غيرهم من السلفين ، ولكنهم كانوا يتطلعون إلى أن يعم العدل بين الناس على يد زعيم من أهل بيت رسول الله ، ولذلك كانوا يلتفتون حول أكبر فرد سناً من أهل البيت ليأخذوا عنه علوم الدين ، كما كانوا ينظرون إليه نظرتهم إلى الرجل الذي يستطيع أن يخلصهم مما هم فيه من ظلم واضطهاد ، ويرجون اليوم الذي يتولى فيه هذا الرجل حقه الشرعي من حكم العالم . وربما دبر هؤلاء الشيعة حركات تورية للتخلص من الحاكم ليتولى رجل من أهل البيت الحكم ، وكان من الطبيعي أن يوحس الحاكمون في تلك الأوقات خيفة من أمثال هذه التجمعات حول أهل البيت ، إذ رأوا فيها خطراً

عظيما يهدد سلطانهم . فلا غرابة إذن أن ترى الحاكمين يأخذون كل حركة من هؤلاء ، بالصف والشدة ، بل تتبعوا أهل البيت أنفسهم بالتشريد والتعذيب والسجن والقتل ، مما أدى إلى ازدياد سخط العامة من الشيعة وغيرهم ، كما مرت السنوات وأصبح حلم الشيعة في إقامة حكم عادل على يد أحد أهل البيت يجتذب جمهرة المسلمين المنذبة اجتذاباً شديداً جداً ، كانوا يريدون إلزاماً عادلاً من أهل البيت بملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، ومن هنا نستطيع أن ندرك سبب قيام تلك الحركات الثورية العنيفة التي قام بها الشيعة من حين لآخر منذ ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما نستطيع أن ندرك أيضاً سبب انتشار التشيع بين الجماهير الفقيرة المنذبة الكادحة الذين كانوا يأملون في استقرار نظام نسوده العدالة الاجتماعية برئاسة إمام من أهل البيت .

ولسكن واجه التشيعيون عدة مشاكل ، غير ما كانوا يلاقونه من اضطهاد الأمويين والعباسيين ، فقد تكاثر عدد أفراد أهل بيت الرسول بمرور السنين ، وتفرقت الأسرة في بلاد مختلفة ، الأمر الذي أدى إلى أن أصبح من الصعب معرفة أكبر أفراد الأسرة سناً ، وهو الشخص الذي له الحق الشرعي في تولي أمر الشيعة حسب عقائدهم الأولى . وكان لولمّا إذن أن تتطور فكرة اختيار أكبر الأفراد سناً إلى اختيار أبرزهم في الحياة العامة ، ثم تطورت هذه الفكرة مرة أخرى إلى اختيار ألهم شأنًا من أبناء



الحسين بن علي ، ولا سيما بعد أن ظهر في فزع الحسين بن علي  
أعظم أهل البيت موهبة في العلم والدين : وهو جعفر الصادق بن  
محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،  
المتوفى حوالي سنة ١٤٧ هـ ، الذي التف حوله عدد كبير من  
الشيعة ، حتى اعتبر في نظر الشيعة الإمامية أنه المؤسس الحقيقي  
للمدرسة الشيعة الدينية وواضع أصول العقيدة الشيعة ، ذلك  
بالرغم من أن المروءات عن جعفر الصادق تاريخياً أنه لم يتاد  
بنفسه إماماً للشيعة ، ولم يتم بثورة بطلب فيها بالحكم ، ولكنه  
بفضل شخصيته الفذة ومواهبه المتعددة وشدة ورعه وتدينه  
استطاع أن يمد جماعة الشيعة الذين التفوا حوله بما كانوا في  
ميسس الحاجة إليه من وجود شخص من أهل البيت يجتمعون  
إليه ويأخذون العلم عنه . ومما لا شك فيه أن أبناء جعفر الصادق  
وحفدة الذين جاءوا بعده لم يستطيعوا أن يلقوا ما تلقاه جعفر  
الصادق في نفوس الشيعة ، ولم يرث أحدهم صفاته العالية ، بل  
عاشوا على تراثه الروحي الذي تركه في نفوس الناس ، ولهذا رأى  
الشيعة الإمامية في العراق وإيران والشام الآن يطلقون على  
أنفسهم أصحاب المذهب الجعفري ، أي أنهم أتباع جعفر الصادق .  
وجد إذن شخص عظيم من أهل البيت ارتاح له الناس وتجمعوا  
حوله للأخذ عنه .

ويجب أن نذكر هنا أن عدداً كبيراً من علماء أهل السنة

والجماعة تلتذوا أيضاً على جعفر الصادق : نذكر منهم على سبيل  
المثال الإمام مالك بن أنس ، وذلك لما عرف عن الصادق من  
اعتدال في الرأي والعقيدة بحيث يقبل آراء كل مسلم ، الشيء  
منهم والشيء ، ولكن هذه الآراء التي كان ينادي بها الصادق  
وكونت مذهبه الديني دار حولها كتابات كثير من علماء الشيعة  
في القرن الرابع للهجرة وما تلاه من قرون ، وتطورت هذه  
الآراء بمرور الزمن ، ونسبت إلى الصادق تاليم وآراء لم يقل بها ،  
كما أدخل بعض الشيعة في تاليمه آراء هي من تراث الأمم القديمة  
التي خضعت للمسلمين أو التي امتزجت بالمسلمين على نحو ما ،  
فكثرت الآراء واختلفت الترات وتشتت الأهواء ، وظهر عند  
بعض البيئات الشيعية انحراف ومغالة في الآراء الدينية كان من  
نتائجها أن اضطر التشيعيون أنفسهم من الحافظين على المذهب  
الجسفي إلى أن يتبرأوا من القائلين بهذه المغالات المتطرفة ومن  
آرائهم ، كالتي نراه مثلاً عند أصحاب أبي الخطاب الأسدي الذي  
كان من تلاميذ جعفر الصادق ومن أصدق الناس به ، ولكنه  
غلى قاعى ألوهية جعفر الصادق نفسه ، مما جعل الصادق يستعبد  
بالله من شرفائه ويتبرأ منه ومن كل من ذهب مذهبه . كثرت  
إذن الفرق الشيعية وتعددت آراؤهم واختلفت اختلافاً متبايناً بين  
معتدلة وغالية ، وجذبت الآراء الشيعية عدداً كبيراً من المسلمين ،  
فأصبح للشيعة كيان خاص عرفوا به ، وهم لا يزالون إلى يومنا

هذا في عدة بلاد من العالم على نحو ما سند كره .

ومهما يكن من شيء فقد انقسمت الشيعة الجعفرية بعد وفاة جعفر الصادق حوالى سنة ١٤٧ هـ إلى فرقتين ، وكان انقسامها بسبب الإمامة ، ذلك أن الأكثرية العظمى من أتباع المذهب الجعفرى نادوا بإمامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وسلسلوا الإمامة في الأكبر سنّاً من عقبه ، إلى أن أشيع بأن الإمام الثانى عشر وهو محمد بن الحسن العسكري دخل سرّداً في مدينة سامراء ( شمال بغداد بالعراق ) وآه اختفى في هذا السرداب خوفاً على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهل البيت خاصة ، ويقول شيعته إنه لا يزال إلى الآن حياً ، وآه سيخرج من سرّداه يوم القيامة على أنه « المهدي المنتظر » الذي سيعمل الدنيا عدلاً ويرد الحق إلى أهله في الأيام القلائل التي تسبق يوم القيامة ، وأكثر الشيعة في إيران والعراق وسورية ولبنان الآن يدينون بإمامة الأئمة الاثني عشر الذين دخل آخرهم السرداب حوالى سنة ٢٦٠ هـ وسُميت هذه الفرقة بالوسوية نسبة إلى موسى الكاظم أو بالإمامية الاثني عشرية نسبة إلى عدد الأئمة .

أما الفرقة الثانية التي تفرعت عن المذهب الجعفرى فهي فرقة الاسماعيليه الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق فنسبت إليه الفرقة . ومن الطريف أن مؤرخى الاسماعيليه وعلماءهم يروون قصة عن سبب انشقاق أتباع جعفر الصادق إلى هاتين الشيعتين ،

فقال بعضهم إن جعفر الصادق نص على أن يتولى إسماعيل الإمامة من بعده ولكن إسماعيل توفي في حياة أبيه ، وبذلك انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب ، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه إلا في حالة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب فقط ، أما الأئمة بعد الحسن والحسين فلا بد أن تنتقل من أب إلى ابن ، وأولوا الآية القرآنية الكريمة ( وجعلها كلمة باقية في عقبه ) بأن معنى الكلمة هي الإمامة ، وأنها لا بد أن تكون في الأعقاب دون غيرهم ، وبما أن إسماعيل بن جعفر الصادق كان صاحب الحق الشرعي في الإمامة بعد أن نص أبوه على ذلك ، فلا بد إذن أن تتسلسل الإمامة في ابنه محمد بن إسماعيل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان محمد بن إسماعيل أكبر سناً من عمه موسى الكاظم ، فبناء على التقليد الشيعي القديم الذي يوجب تتسلسل الإمامة في أكبر أهل البيت سناً كان محمد بن إسماعيل إذن أحق من عمه موسى الكاظم بالإمامة . على أن أكثر مؤرخي الاسماعيلية يقولون إن قصة وفاة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه إنما كانت قصة أراد بها جعفر الصادق التحويه والتعمية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي كان يطارده أئمة الشيعة ، تخلف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل فادعى موته ، وأتى بشهود كتبوا محضراً بوفاته ، وأرسل ذلك المحضر إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروراً

ولربما سألوا فرقة إسماعيل التي كان إليه أمر إمامة الشيعة . ثم  
 شوهد إسماعيل بعد ذلك في البصرة وفي غيرها من بلاد فارس .  
 وعلى ذلك فالإمامة لم تسقط عن إسماعيل بالوت قبل وفاة أبيه  
 لأنه مات بعد أبيه . ولم تألأ أن تقول إذا قلت إن هذه القصة  
 — قصة التتويج بوفاء إسماعيل — هي قصة خيالية وضعها بعض  
 أصحاب المناقب من مؤرخي وكتاب الإسماعيلية الذين يكثر من  
 مثل هذه القصص في كتاباتهم ليضيفوا على الأئمة الإسماعيلية  
 مناقب وفضائل لا يقرها عقل .

على أن مؤرخي الفرقة الشيعية الاثني عشرية وبعض مؤرخي  
 أهل السنة والجماعة يذهبون في إسماعيل هذا مذهباً مختلفاً كل  
 الاختلاف عما قاله الإسماعيلية . فقد ذهبوا إلى أن إسماعيل بن جعفر  
 الصادق لم يكن بالرجل الذي يصلح للإمامة ، فقد كان مدمناً على  
 شرب الخمر ولوعاً بالنساء وأنه كان من أسدق ، أبي الخطاب الأسدي  
 الفاسق للحد الذي ادعى ألوية جعفر الصادق وأنه ( أي أبا  
 الخطاب ) كان رسوله ، مما جعل جعفر الصادق يتبرأ منه ولا  
 يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين إسماعيل ، وأن جعفر أظهر  
 فرجه لموت ابنه إسماعيل لما كان مروعاً عنه من فسق . هكذا  
 اضطربت الروايات واختلفت الأقاويل في أمر إسماعيل بن جعفر  
 الصادق بحيث أصبحنا لا ندري حقيقة أمره ، ولا سيما أنه الرجل  
 الذي نسب إليه فرقة الإسماعيلية التي قامت بدور هام في تاريخ

العالم الإسلامي منذ ظهورها . وصحما يكن من أمر هذا الاختلاف  
في إسماعيل فال تاريخ يجهل جهلاً تاماً كيف بدأت الدعوة لإمامة  
إسماعيل فنحن لا نستطيع أن نعرف أول من دعا بإمامته ،  
ولا نستطيع أن نحدد تاريخ ظهور دعوته لأول مرة ، وإن كنا  
نرجح أن بعض أتباع أبي الخطاب الأسدي هم الذين نادوا به ،  
وأنهم أمروا ابنه محمداً بالدعوة لنفسه بعد أبيه . وثابت من التاريخ  
أن محمداً بن إسماعيل بن جعفر الصادق اضطر إلى أن يترك مسقط  
رأسه في المدينة المنورة وإلى أن يهاجر إلى خوزستان (جنوب غربي  
إيران) ثم زكها إلى بلاد الفيل (جنوب بحر قزوين) ، ولم يسمع  
عنه شيء بعد ذلك . ومن يدري ! لعل هجرته هذه كانت بسبب  
التفاف الشيعة حول عمه موسى الكاظم من دونه ، فشاء أن يجد  
لنفسه أتباعاً وأن يقيم لنفسه دعوة في هذه الأقاليم التي هاجر  
إليها ، ولعل الذين أمروا بالدعوة لنفسه هم الذين زينوا له فكرة  
الهجرة عماه لينجح في تلك البلاد البعيدة عن أعين المظالم  
العباسيين ، وقد تكون هناك أسباب أخرى لا نعرفها أوضحت  
إليه بالهجرة . على أننا لم يصلنا شيء عنه ولا عن دعوته ، بل  
لم يعرف التاريخ شيئاً اسمه فرقة الإسماعيلية حتى أواخر القرن  
الثالث للهجرة ، ففي أواخر هذا القرن نسمع عن حركة القرامطة  
في البحرين وبلاد الشام ، ونسمع ما يرويه مؤرخو الإسماعيلية  
من أن أسرة محمد بن إسماعيل وجدت على بلاد السلام واستقرت

في مدينة « سلبية » ( بالقرب من حمص بسورية ) في هشة  
التجار ، وأنهم كانوا يخفون شخصيتهم خوفاً على أنفسهم بينما  
كانوا يرسلون دعايتهم إلى جميع البلاد الإسلامية للتبشير بقرب  
ظهور المهدي المنتظر من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعني  
آخر ظهور الإمام صاحب الحق الشرعي من نسل الرسول (ص)  
ليتولى قيادة السفين . فظهور القرامطة في البحرين والشام كان  
إيضاحاً بظهور الاسماعيلية على مسرح السياسة بصفة إيجابية . بعد  
أن ظلت الاسماعيلية مستترة لا يعرف أحد شيئاً عنها زهاء قرن  
من الزمان . ولكن مؤرخي الاسماعيلية يحاولون دائماً أن  
يتحدثوا عن هذه الفترة من تاريخ أعينهم ، وهي الفترة التي تعرى  
عندهم ( بدور السر ) أي الفترة التي اضطرب فيها الأئمة إلى الاستتار  
خوفاً من بطش أعدائهم العباسيين ، وكل مؤرخ من مؤرخي  
الاسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يبدو له ، بحيث جاء  
حديثهم منطرياً أشد الاضطراب مختلفاً أشد الاختلاف ، فهم  
يختلفون في عدد أئمة هذه الفترة ، وهم يختلفون أيضاً في أسماء  
هؤلاء الأئمة ، جعل بعضهم الأئمة ثلاثة ، وقال بعضهم بل خمسة ،  
وقال بعضهم بل سبعة ويكفي أن أقل هنا ما كتبه أشهر مؤرخي  
الاسماعيلية وهو الناصي إلخريس في كتابه عيون الأخبار عن هجرة  
محمد بن إسماعيل إلى بلاد فارس وانتقال أسرته إلى بلاد الشام  
فقد قال بعد أن اشتد الضغط على الإمام السابع محمد بن إسماعيل

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب خرج من المدينة  
إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي ، وظل فيها مدة من الزمن مستتراً  
عن العيون بعيداً عن الأرساد ، حتى ولد له فيها ولد اسمه عبدالله ،  
ومن الكوفة سار إلى الري ، واستتر عند أحد دعاة السريين  
السمي إسحق بن عباس . وكان يشغل منصب حاكم الري من  
قبل الرشيد العباسي ، وبعد مدة من الزمن قال له إسحق :  
يا مولاي قد علمت اليوم أنهم يشوا العيون في كل مكان وأنى  
أصبحت أخشى عليك منهم ، فإن رأيت أن نخرج إلى الجبل  
وننتصم بقلة نهاوند عند خدمك الداعي منصور بن حوشب فإن  
ذلك أنسب ، وعلى كل حال الأمر لك يا مولاي . فعمل بإشارته ،  
وبعد ذهاب قبض العباسيون على إسحق وعذبه عذاباً شديداً ،  
وقيل إنه مات تحت السياط دون أن يدل على مكان الإمام ، ولما  
لم يعرف هرون الرشيد عن أمر الإمام شيئاً ، أرسل قائده محمداً  
الخراساني ومعه جيش كبير من الكرد والآراك لفتح عنده ثم  
القبض عليه ، فلما وصل إلى نهاوند دخل مسجدها ، فرأى  
الإمام محمداً بن إسماعيل مستنداً ظهره إلى الحراب وبين يديه رجلان  
يعلمهما أصول الدين ، فلم يتألك القائد نفسه حينما رأى عظمته  
وجلال هيئته من أن ينحني أمامه ويقبل يديه ، ثم أشار إليه  
بضرورة سفره من نهاوند لأن الرشيد يريد أن يقبض عليه إذا  
ما ظل فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام مستتراً إلى بلدة سابور ،



ومنها إلى فرغانة وبعد ذلك إلى عسكر مكرم ، وهناك على مشهد من دعائه نص على إمامة ولده عبد الله ولقبه بأحمد التوفى ، وبعد ذلك بزمان قليل توفى إلى رحمة الله سنة ١٦٩ هـ ، فاستلم الإمامة من بعده ولده عبدالله وازداد في التستر والخفاء ، وخرج سراً من عسكر مكرم إلى زمهر ومنها إلى الديلم ، وهناك تزوج بأمرأة من الأسرة العلوية يسمى والدها الأمير علي الحمداني ، فرزق منها ولداً أسماء أحمد ولقبه محمد التقي . . . . . ثم إن دعوتهم انتشرت انتشاراً واسعاً واستجاب لهم خلق كثير العدد في بلاد العرب وفارس ، ولسكن الضغط اشتد عليه من قبل الأأمون العباسي ، فانطهر إلى مناصرة الديلم فاصداً مدينة معرة النعمان قرب حلب ، فأقام فيها مدة ، ثم أتته ظنوها بعد ذلك إلى مدينة سلمية قرب حمص بعد أن ترك أخاه حسيناً يقوم بالنباية عنه ، وأخذ العهد على المستجيبين لدعوته ، وفي سلمية نص على إمامة ولده أحمد بن عبدالله على مشهد من رجال دعوته ، وانتقل بعد ذلك إلى بلدة مصياف بسورية ومات فيها ، ودفن بأعلى قمة جبلها بمكان سمي المشهد ، وكان ذلك سنة ٢١٢ هـ ، وبعد وفاته استلم شئون الإمامة ولده السمي أحمد بن عبد الله وهو الملقب بمحمد التقي . وهذا الإمام كان كثير التنقل في البلدان يحب التبشير بالدعوة بنفسه ، فوضع أوكلا ، والدة بحر كز دعوته بسلمية ، وسار مستقلاً في بلدان الشام ، وأخيراً انتقل إلى الري وإلى همدان ثم إلى أخربيجان ومنها جاء

إلى استنبول (هكذا ١١) حيث توفي فيها سنة ٢٢٩ هـ ، وبعد ذلك استلم شئون الدعوة الإسلامية ولده وكان يقيم في سلبية وهو المسمى الحسين بن أحمد بن عبد الله اللقب بـ عبد الله الرضى ، وقد توفي في سلبية سنة ٢٦٧ هـ . ودفن في المسجد الكبير الذي كان يعلى فيه .

هذا ما ذكره أكبر مؤرخ عند الاسماعيليين وهو البهاى إدريس عماد الدين بن الحسن التوفى سنة ٨٧٢ هـ في كتابه عيون الأخبار انتهى بعد أعظم كتب في تاريخ الاسماعيليين ، ولكن الظاهر من هذا النص أن المؤرخ خلط كثيراً من أخبار ذكرت في كتب إسماعيلية أخرى ، بأخبار أتى بها من عنده لم يذكر في الكتب الأخرى ، وإن الأسماء التي ذكرها تختلف عن أسماء الأئمة الذين وردوا في كتب الاسماعيليين ، كما أننا نلاحظ عدة أخطاء تاريخية وقع فيها هذا المؤرخ الكبير ، فقد ذكر مثلاً البهاى المنصور بن عوشب على أنه كان صاحب قلعة نهاوند حوالي سنة ١٦٩ هـ ، مع أن ابن عوشب كان من رجال القرن الثالث للهجرة وليس من رجال القرن الثانى للهجرة ، ومسألة دخول الإمام استنبول ووفاته بها تدعو إلى التبعض ، لأن استنبول في هذه الأيام لم تسكن من البلاد الإسلامية ، إنما كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي كانت في حروب مستمرة مع المسلمين إلى غير ذلك من أخطاء وقع فيها المؤرخ شأنه في ذلك شأن كل

مؤرخي الاسماعيلية الذين تركوا لنا كتباً يصعب جداً الاعتماد عليها  
لكنة ما فيها من اختلافات وأخطاء تاريخية . ومن المؤسف  
أن هذا الاختلاف لم يكن بين مؤرخيهم لحسب ، بل كان أيضاً  
بين كبار علماء الدعوة الاسماعيلية على نحو ما سنذكره فيما بعد .  
وما دام مؤرخو الاسماعيلية أنفسهم لم يستطيعوا أن يعطونا صورة  
صحيحة عن أنفسهم في الفترة بين سنة ١٤٧ هـ ، وهي سنة وفاة جعفر  
الصادق وسنة ٢٩٦ هـ ، وهي سنة ظهور عبيد الله المهدي بالغرب  
لشعة ستر الأئمة ؛ فمن الطبيعي أن لا نجد مؤرخاً من مؤرخي الغربا  
أهتم بهم في هذه الفترة . ومعنى هذا كله أننا لا نستطيع أن نكمل  
برأى صحيح عن تاريخ الاسماعيلية في دور الستر ، فهي فترة  
غامضة أشد الغموض حتى إن بعض مؤرخي وكتاب الاسماعيلية  
تحدثوا عن هذه الفترة رخصاً دون تصريح ، مما يجعل موضوع  
الحديث عن دور الستر شاقاً صعباً على كل باحث في تاريخ  
الاسماعيلية ، فإن الشيعة عامة والاسماعيلية بوجه خاص اتخذوا  
التقية مذهباً من مذاهبهم ، ويروون عن الإمام جعفر الصادق  
أنه قال : التقية ديني ودين آبائي ، ومن لا تقية له فلا دين له .  
فكانت هذه التقية سبباً في الغموض تاريخهم واختلاف المؤرخين  
واضطرابهم فيما كتبوا .

ولعل هذه التقية التي سببت هذا الغموض في دور الستر كانت  
سبباً في هذه الحلة الشديدة التي شنها الباسيون وعلماء أهل السنة

والجامعة وعلماء الشيعة الاثني عشرية حول نسب عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الاسماعيلية التي عرفت في التاريخ باسم الدولة الفاطمية ، فبالرغم من كثرة ما كتب في عصرنا الحديث حول نسب الفاطميين ، فإننا نأسف لاضطرارنا إلى القول بأن كل ما كتب لا يوثق به وثوقاً علمياً صحيحاً وستظل هذه القضية التاريخية « نسب الفاطميين » حديثاً يكتب ويعاد دون الوصول إلى الحقيقة ، وذلك كله بسبب هذا السر الشديد الذي فرضه الأئمة والائمة حول أنفسهم عملاً ببدا « الثقة » وخوفاً من بطش أعدائهم ، وسيظل الموضوع ظامساً إلى أن تكشف نصوص جديدة يوثق بها تاريخها . وليس أدل من اضطراب الحديث عن نسب الفاطميين عند المتقدمين أنفسهم من هذا النص الطريف الذي عثر عليه الصديق الزميل الأستاذ الدكتور حسين الحميداني في كتاب « القرائض وحلوه الدين » لجعفر بن منصور ابن حوشب ، وملخص هذا النص أن جعفر الصادق كان له أربعة أبناء هم إسماعيل وموسى ومحمد وعبد الله ، وأن الإمامة كانت لعبد الله الذي اتخذ لنفسه اسم إسماعيل نقيه ، وسلسل الإمامة في عبد الله بن جعفر ( الذي تسمى إسماعيل ) ثم بعده محمد بن عبد الله ، ثم عبد الله بن محمد ، ثم أحمد بن عبد الله ، ثم محمد بن أحمد ، ثم أومى محمد بن أحمد إلى ابن أخيه قيسى سعيد بن الحسين ( أو سعيد الخير ) . وهكذا نرى هذه الخلاقات الشديدة

التي لا نستطيع أن نستخرج منها الحقيقة .

وهناك مسألة أخرى تجعلنا في حيرة من أمر الإسماعيلية في هذه الفترة الناضجة من تاريخهم ( أى في دور السر : فتحن لعرف أن الإمام جعفر الصادق توفي حوالى سنة ١٤٧ هـ . وأن شيعته انقسموا بعده إلى موسوية وإسماعيلية ، ومع ذلك فلم نسمع شيئاً عن هذه الفرقة الأخيرة - أى الإسماعيلية - إلا بعد دخول آخر إمام من أئمة الفرقة الموسوية وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري السرداب حوالى سنة ٢٧٠ هـ ، أى بعد وفاة جعفر الصادق بأكثر من قرن كامل ، فأن كانت طائفة الإسماعيلية طوال هذه الددة ؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عنه لأننا لم نجد ما نستطيع الاعتماد عليه أو الوثوق به في الكتب التاريخية أو كتب الدعوة الإسماعيلية نفسها ، ويخيل إلى أن بعض الشيعة من الإثنى عشرية صدموا لاختفاء الإمام الثامن عشر في السرداب ولم يكن له أولاد . فظلوا إلى الفرع الآخر من أبناء جعفر الصادق التسلسل من محمد بن إسماعيل فقاموا بالإعتراف بإمامتهم والدعوة لهم ، بعد أن ظل أبناء محمد بن إسماعيل يعيدون كل البعد عن أى نشاط للدعوة لأنفسهم بالإمامة طوال هذه الددة . هذا ما نرجحه إلى أن نطمئن إلى نصوص تثق بها فنفسر لنا هذا التموض الشديد الذى يحيط بالإسماعيلية قبل سنة ٢٦٠ هـ ، ولا سيما أن كتب التاريخ بين أيدينا لا تشير من قريب ولا من

بيد إلى أي نشاط من فرقة الاسماعيليه قبل هذه السنة ( أي سنة ٢٦٠ هـ ) .

وإمام أول حركة إسماعيلية ناجحة هي تلك الحركة التي قامت ببلاد اليمن : فإن أحد الدعاة المعروف بالحسين بن حوشب ، الملقب بمختار اليمن ، استطاع حوالي ٢٦٦ هـ أن يجمع حوله عدداً كبيراً من قبائل اليمن ، وأظهر بينهم الدعوة للإمام الإسماعيلي المنتظر ، وأن افتتح باسمه عدداً من القلاع والحصون باليمن ، واستطاع بذلك أن يؤسس باسم الإمام الإسماعيلي ( المنتظر ) أول دولة إسماعيلية في التاريخ . أما القاضي ابن حوشب الذي أسس هذه الدولة الإسماعيلية فكان أول أمره من الشيعة الاثني عشرية ، ويقال إنه قابل في الكوفة أحد الأئمة المتتوريين ، واستطاع هذا الإمام بعد عدة مقابلات مع ابن حوشب أن يأخذ العهد عليه ، ثم طلب منه أن يرسل للدعوة له في اليمن على أن لا يصرح باسمه ، ويمكنه بذلك من مبعثته وهي الإمامة ، وأن يأخذ العهد على كل مستجيب له باسم ( الإمام المنتظر من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ) أو باسم ( المهدي المنتظر ) فشد ابن حوشب مع زميل له هو علي ابن الفضل في هذه الدعوة باليمن ، حتى نجحت هذه الحركة ولذلك لقب بمختار اليمن . ويظهر أن علياً بن الفضل تآفق صاحبه مما أدى إلى أن يحاربه ابن حوشب ، ثم امتد نشاط ابن حوشب في الدعوة إلى خارج بلاد اليمن ، فكان يرسل الدعاة من قبله في

خلف البلاد ، فلكن من الدعوة الذين بث بهم ابن حوشب إلى بلاد الغرب الداعي الخلفاء والداعي السفاني ، غير أن هذين الداعين توفيا بعد قليل ، فأرسل الداعي أبا عبد الله الشيباني ليشم مبادئ الخلفاء والسفاني في شمال أفريقيا من بيت الدعوة بين رجال القبائل للقرية باسم الهدى المنتظر ، واستطاع أبو عبد الله الشيباني أن يكتسب تأييد قبيلة كتامة ، إذا بأبيه شيوخها على الدفاع عنه وعن إمامه ، وأن يأتمروا بأمره في دينهم ودنياهم ، كل ذلك والإمام في ستره وحقته لم يعرفه إلا من كان شديد القرب عنه من كبار رجال الدعوة ، ولم يكن يعرف أحد حقيقة اسمه . وهكذا نجحت أول<sup>(١)</sup> محاولة لتأسيس دولة إسماعيلية ، وانتشر الدعوة في الأقاليم المختلفة .

وحول هذه السنوات التي فيها نجح الدعوة في تأسيس دولة باليمن ، قامت حركة إسماعيلية في البحرين عرفت في التاريخ بحركة القرامطة ، وامتد نشاط هذه الحركة إلى بلاد الشام ، وحركة القرامطة الثورية - هذه شملت الخلافة العباسية عدة سنوات ، وهزم القرامطة جيوش العباسيين في عدة مواقع ، ودخل قرامطة البحرين مكة أثناء موسم الحج وأتروا الحجر الأسود وحلوه معهم إلى محنتهم « هجر » ، غير أن القرامطة بعد أن نجحت ثورتهم على العباسيين ، تألبوا على الإمام الإسماعيلي

(١) قلت إنها نجحت قبل ذلك في اليمن .

في سلبية ، تظلموا طاعته وجملوا الدعوة لرماتهم دون آفة  
الاسماعيلية ، بل شاموا القضاء على آفة الاسماعيلية فهجموا على  
سلبية ، واقتحموا دور الآفة وسلبوا كثيراً من أموالهم وقتلوا  
بعض أفراد الأسرة ، وكان الإمام الإسماعيلي إذ ذاك هو عبيد الله  
المهدي الذي جاءت إليه الأنباء بنوا القرامطة فهرب مع بعض  
أفراد أسرته من سلبية إلى الرملة ، وعلم القرامطة بفراره فتبعوه  
إلى الرملة يريدون قتله ومن معه وسلب أمواله ومناحه ، فاضطر  
المهدي إلى الفرار مرة أخرى إلى الفسطاط بمصر ، حيث أقام  
عدة أسابيع رحل بعدها إلى شمال أفريقية ، وهناك أظهر نفسه  
وخرج من ستره وأعلن إمامته ودعوته بعد أن كانت في ستر  
وإخفاء ، ويظهر أن حركة القرامطة ضد نهج الباسيين إليه ،  
فقد جهد الباسيون لمعرفة هذا الرجل الذي كان يدعو له القرامطة  
والذي دعا له ابن حوشب باليمن والحلواني والسفياني بالغرب ،  
ولكن المتر الذي كان يضربه المهدي ومن سبقه من الآفة حول  
أنفسهم جعل من الصعب على الباسيين أن يعرفوه ، فلو أن حركة  
القرامطة في الشام ضد المهدي لما عرف الباسيون عنه شيئاً ، ولهذا  
طارده الباسيون عند فراره من سورية ، وأرسلوا إلى الولاة بصفته  
حتى يقبضوا عليه ، وكاد يقبض عليه في مصر لولا أن حذره بعض  
الدعاة ، فتركها ورجل الدولة الباسية يجدون في طلبه والبحث  
عنه ، إلى أن بلغ المهدي مدينة سجلماسة بالغرب فقبض عليه



بنو الأغلِب صاحب القبروان عاصمة إفريقية (تونس) وسجن المهدي  
ومن كان معه من أفراد أسرته ، ووصل نبأ سجنه إلى أبي عبدالله  
الشيبي داعيته في المغرب والذي نجح في دعوة قبيلة كتامة إليه ،  
فقام أبو عبدالله الشيبي بجمع من قبيلة كتامة لإفقاد المهدي ،  
واستطاعت جموعه أن تهزم جيوش بني الأغلِب ، وأن يخرج  
المهدي ومن كان معه من السجن ، وأركب الإمام دابة قادما  
وهو ينادي في جوع كتامة : « هذا إمامكم ، هذا إمام الحق ،  
هذا هو المهدي » .

وبذلك دخل تاريخ الاسماعيلية في دور جديد ، عرفه مؤرخون  
وعلماءهم بأنه « دور الظهور » أي أن أئمة الاسماعيلية أظهروا  
أنفسهم بعد أن كانوا مستترين ، وجاءوا بدعوتهم وبآرائهم  
الذهبية بعد أن كانوا يدعون بها في الخفاء ، وكان الإمام في دور  
الستر يخفي شخصيته إلا عن كبار دعاته ، بل إماما في الخفاء كان  
يسمى للدعاة باسمه ، ويلقبهم بلقبه حتى لا يعرف أحد من هو صاحب  
هذا الاسم أو ذلك اللقب ، وكان يعمل في التجارة في مدينة سلية  
ولا يبرحها ، بينما كان دعاته متبعين بين الناس يبشرون بقرب ظهور  
المهدي صاحب الحق الشرعي في الإمامة دون أن يشيروا إلى اسمه  
أو إلى مكان إقامته . ويقال إن هذا التستر هو السبب الأول في  
خروج القرامطة عن طاعته ، فإنهم استطاعوا أن يعرفوا اسم الإمام  
وقابلهم الرجل صاحب هذا الاسم ويلوك حركتهم ، ولما عانوا

إليه شبه أخرى وجدوا شخصاً آخر يحمل نفس الاسم وأشار  
إليه من نحوه بأنه هو الإمام ، فشك زعماء القرائنة في الإمام وفي  
الجمعة نفسها ، وجازوا الإمام ودعوا إلى أنفسهم . وهذا ما حدث  
أيضاً للمداني أبي عبد الله الشيبى الذى مكن للاسماعيلية بين قبيلة  
كتامة ، فإنه قبل سفره إلى بلاد المغرب زار الإمام بسنية ، فقا به  
شخص على أنه الإمام ، ولكن بعد ظهور المهدي بالمغرب رأى  
أبو عبد الله الشيبى أن المهدي ليس هو الإمام الذى قا به بسنية ،  
وتطرق الشك في نفسه إلى درجة أن أفضى بذلك إلى أخيه  
أبي العباس وبعض رؤساء كتامة ، وكانت تحدث ثورة لو لم يبادر  
المهدي بقتل أبي عبد الله الشيبى وأخيه أبي العباس وأن يتخذ  
الثورة في سرعة بحجة على نحو ما سند كره فيما بعد . وهذا السر  
نفسه هو السبب الأول في شك كثير من المؤرخين في سبب أزمة  
الدولة الاسماعيلية الكبرى ( الدولة الفاطمية ) وفي شخصيتهم ،  
وكان سكوت مؤرخي وكتاب الاسماعيلية في دور الظهور الأول  
عن ذكر أزمة دور السر من العوامل التي أعطت أعداءهم سلاحة  
عاضياً بشهرونة ضدّهم وهو الطعن في نسبهم ، والقول بأنهم أعداء  
النسب ، حتى قيل إن هذا الإمام الإسماعيلى الذى ظهر ببلاد  
المغرب ( عبيد الله الهندي ) هو ابن رجل يهودى كان خدماً  
بسنية ، وترملت أمه ، فتزوجها أحد الأشراف العلويين وبنى هذا  
الغلام ، فلما كبر ادعى لنفسه نسباً علويّاً ، ودعا الناس إليه ، وقيل

كذلك إن عبيد الله المهدي من نسل عبيد الله القداح الذي كان مولى  
جعفر الصادق ، وكان يقوم عنده على حفظ أوالي المنزل ، وقد سأل  
بعض أئمة العز الدين الله عن نسبه إلى القداح فقال : نعم هو قلاح  
زناد الفكر ! ولم يصف العز على ذلك شيئاً ، كثيراً ما نهكم  
المصريون بالفاطميين ونسب أئمتهم ، فمن ذلك أن الإمام الإسماعيلي  
العز بن العز الدين الله سمع الخبر في أول ولايته على مصر ، فوجد  
دقة كتب عليها :

إنا سمنا نسباً منسكراً	يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقاً	فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وإن تُريد تحقيق ما قلته	فانسب لنا نفسك كالطامع
أو فزع الأنساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم	يقصر عنها طمع الطامع

فقرأها العز ولم يتبس بفتشها . ولا غشى أيضاً ما يرويه  
المصريون عن « سيف العز وذبحه » كما تحدثوا عن نسب الأئمة  
الإسماعيلية ، إذ ذهب المصريون إلى أن العز لدين الله عندما انتقل  
إلى ماحطة القاهرة لأول مرة ، دخل عليه أشرف أهل مصر  
ووجهائها وعلمائها ، وسأله عن نسبه وحميه ، فحرف سيفه  
وقال : هذا نسبي ، ثم ثر عليهم قطع الذهب وقال : هذا جسني .  
فنهكم المصريين وسخرتهم بالأئمة على هذا النحو دليل على شك  
المصريين في نسبهم ، والمروءة عن المصريين قوة الوعي ودقة

الحس والذكاء الذى يستطيع المصرى به أن يدرك الأمور فى سرعة وأن يعبر عما لا يروقه بالفكاهة تلو الفكاهة ، وسرى كيف قلبي الفاطميون من فككت للمصريين اللاذعة المميقة المعنى . إذن كان السر من أكبر العوامل فى شك الناس فى نسب الاسماعيليه ، ومع ذلك كله لم يذكر عالم من علماء الاسماعيليه فى هذه السنوات الأولى لظهور آئتهم شيئاً عن نسبهم أو عن آئتهم فى دور السر واكتفى الجميع بالقول بنسبهم إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى أخذ فيه أعداؤهم يرمونهم بكل موبقة ، وإذا تحدث المؤرخون عن أسماء آئتهم فى دور السر اختلفت روايتهم واضطربت أقوالهم ، وذهب كل مؤرخ مذهباً يختلف عن الآخرين ، على أن أكثر المؤرخين يذكرون تسلسل الأئمة على هذا النحو : الحسن بن على بن أبى طالب ، الحسين بن على بن أبى طالب ، على زين العابدين بن الحسين ، محمد الباقر بن على زين العابدين ، جعفر الصادق بن محمد الباقر ، إسماعيل بن جعفر الصادق ، محمد بن إسماعيل ، عبد الله بن محمد بن إسماعيل ، أحمد بن عبد الله ، الحسين بن أحمد وهو آخر أئمة دور السر . وقد ذكرنا أن الخلاف شديد حول هذه الأسماء ، ولكن هذه هى أسماء الأئمة فى أشهر الأقوال .

## الفصل الثاني

### دور الظهور

يقول مؤرخو الاسماعيليه إن الإمام عبيد الله المهدي عند ما جاءه الأنبياء بمؤامرة القرامطة ضده ، وعزمهم على قتله هو وأفراد أسرته وسلب كل أموالهم ، ففكر طويلاً قبل هروبه من سلمية إلى أين يقصد ، لقد استقر رأيه على الفرار من القرامطة لأنه لا يستطيع أن يقاوم جوعهم ، فلم يكن عنده جيش يلاقي به القرامطة ، فشكل الذين كانوا حوله هم عدة أفراد من الدعاة الذين كانوا يأخذون عنه علوم أهل البيت ونظام نشر الدعوة ، فلم يكونوا من رجال الحرب ، وكان معه أهل بيته وهؤلاء كانوا تجاراً ولم يشتركوا في حرب مع أعدائهم بل عاشوا في سلام ودعة طوال حياتهم ، لهذا كله لم يكن أمام عبيد الله المهدي إلا أن ينجو هو وأفراد أسرته بمشاشة نفوسهم قبل أن يباغتهم القرامطة الذين دوخوا جيوش المباسين وتغلبوا عليهم في عدة مواقع ، ولكن إلى أين يذهب المهدي ؟ استشار في ذلك بعض القريين إليه من الدعاة والأقارب ، كان أمليه أن يهرب إلى اليمن حيث استطاع داعيته ابن حوشب أن ينجح نجاحاً ملحوظاً في نشر الدعوة الاسماعيلية وفي امتلاك

بعض القلائع والحصون على نحو ما ذكرناه من قبل ، وكان أماله أن يرحل إلى بلاد الغرب حيث استطاع داعيته أبو عبد الله الشيباني أن ينجح في نشر الدعوة في قبيلة كتامة ، وأن يأخذ على شيوخ القبيلة اليهود واللواتين بنصرة الإمام ، كانت اليمن والغرب المعتقدتين اللتين انتشر فيهما المذهب الاسماعيلي مما يحقق للإمام النفوذ والسلطان ، فكان على المهدي أن يختار لهجرة أحد البلدين ، وكان المهدي ذكياً موهوباً كما كان سياسياً فديراً شأنه في ذلك شأن كل عظماء التاريخ الذين تمكنوا من تأسيس الدول ، أنزك بشاقب رأيه أن اليمن بعيد عن قلب العالم الإسلامي ، فمن الصعب أن تصلح اليمن مركزاً لنشر الدعوة الاسماعيلية في جميع البلاد حسب ما كان يتطلع فيه المهدي ويعمل له . كانت كل الظروف مهيأة للمهدي في اليمن أكثر مما كانت عليه بلاد الغرب ، وكان المهدي يعلم أن هجرته إلى الغرب محفوفة بأخطار جسيمة ، ولكنه كان يتطلع إلى المستقبل أكثر مما يتطلع إلى حاضرة ، يحدوه الأمل في النجاح أكثر من تفكيره في الفشل ، فدفعه الأمل في النجاح في المستقبل إلى أن يختار الغرب داراً لهجرته من دون اليمن ، فسار إليها ، وقدر له النجاح فاستطاع أن يؤسس سنة ٢٩٧هـ تلك الدولة المشيدة التي عرفت في التاريخ باسم «الدولة الفاطمية» . وبالرغم من مظاهر نجاحه في تأسيس هذه الدولة فقد تعرضت مواهبه الفنية وقدرته إلى استنحانات عميقة جداً في سياسته .

ولاسيا في سياسته نحو قبائل البربر ، كانت أكثر قبائل البربر  
يتصبون لمذهب مالك بن أنس السني ، وكان بعضهم يدين بمذهب  
المخوارج ، بينما كانت دعوته الذنعية تختلف من المذهبيين المذنبين .  
انتشرا بين قبائل شمال أفريقيا سكان من الطيبي أن يتصارح  
المذهب الإسماعيلي الجديد مع المذهبيين الآخرين ، أنجب إلى ذلك  
كله أن قبائل البربر مثل جميع القبائل البدوية في كل مكان في  
العالم ، كانت لهم عقليتهم الخاصة وتقاليدهم الخاصة ، فربما قبلوا  
اليوم رأيا من الآراء وأبدوه بكل ما في وسعهم ، فإذا جاء الفد ،  
تركوا هذا الرأي لسبب تافه أو لتغير سبب على الإطلاق ،  
فعباسة أمثال هذه القبائل البدوية من أسب وأجن أنواع  
الحكم ولا سيا إذا كان الحاكم يريد فرض مذهب ديني يخالف  
ما عليه القبائل وما توارثوه من تقاليد دينية منذ قرون ، وهذه  
الصعوبات وجدها المهدي في تأسيسه للدولة الفاطمية الناشئة ،  
فبعد أن قامت كتامة وبعض قبائل أخرى بمساعدته وبهرتهم  
هذه الانتصارات الفجائية السريعة التي قوض بها دولة الأغلبية  
في أفريقية ، نرى عددا من الثورات قامت بها القبائل البربرية  
ضده ، حتى إنه اضطر إلى أن يقتل داعيته أبا عبد الله الشيعي وأخاه  
أبا العباس الشيعي لأنهما شككا في شخصيته وعملا على الخروج  
من طاعته وحاولا إثارة الفتنة في قبيلة كتامة نفسها التي غاصرت  
المهدي ، فتأثرت كتامة ضد المهدي ، ولكنه تمكن من إخماد

هذه الثورة وغيرها من الثورات التي قامت ضده ، وماتت كرامة إلى طاعته صاهرة بمجد السيف ، ثم ثارت مدينة أطرابلس سنة ٣٠٠ هـ ، فأسرع إلى قمعها بقتل زعماء الثوار ، وفي سنة ٣١٥ هـ ثار محمد بن خنيز الزناتي ولكنه هزم ، ولعل أعنف هذه الثورات وأشدها خطراً تلك الثورة التي قادها أبو يزيد غلب بن كيداد الزناتي الذي كاد يقضي على هذه الدولة الناشئة وأن يهزم جيوشها المرة بعد المرة ، كان أبو يزيد على منهب الطوارج ألد أعداء الشيعة فلما صمم على الثورة لم يبق بها إلا بعد دراسة طويلة ، فأخذ يدعو لثورته سرّاً زهاء ثلاثة عشر سنة حتى تجمع حوله عدد كبير من مؤيديه ، وانتهر فرصة وفاة المهدي بن جعفر بالمسيان ، ونادى بالجهاد ، وغلّ يحارب الدولة ويهزم جيوشها حتى استطاع أن يحاصر عاصمة الفاطميين ( للهدية ) التي بناها المهدي بإفريقية ( تونس ) ، ولما فشل أبو يزيد في الاستيلاء عليها ، بدأ نجده في الأفول ، إلى أن استطاع الخليفة الثالث من الخلفاء الفاطميين أن يقمع ثورته وأن يقتله سنة ٣٣٥ هـ . فلو قدر النجاح لثورة أبي يزيد هذه لتغير وجه التاريخ ، ولما كان للإسماعيلية هذا الشأن في توسيع أرجاء مملكتهم وفي ازدياد عدد أتباعهم حتى إن أملاكهم بلغت من الاتساع ما لم تبلغه دولة إسلامية أخرى بعد عصر الفتوحات الكبرى ، فنذ استطاع المهدي تأسيس دولته بالغرب . وضع لنفسه سياسة الاتجاه نحو بلاد الشرق ، وتوسيع رقعة مملكته



في البلاد التي تقع شرق تونس ، وضع المهدي هذه السياسة التي أصبحت سياسة خلفاء الفاطميين من بعده ، وضموها نصب أعينهم جميعاً وهم لا يزالون في المغرب ، ولما تم لهم امتلاك مصر في عهد المزلدين الله رابع خلفائهم تطلعوا إلى فتح البلاد التي تلي مصر شرقاً عملاً بالسياسة التي رسمها لهم المهدي ، ومن هنا نستطيع أن نفهم سبب إلحاح عبيد الله المهدي في فتح مصر لبتخاذها مركزاً لتحقيق ما كان يطمح إليه من التوسع إلى الشرق ، فقد بعث المهدي إلى مصر ثلاث حملات حربية لمحاولة فتحها وانقراضها من أيدي الإخشيديين ، ولكن باءت هذه الحملات كلها بالفشل ، إذ أسرع المباسيون بإرسال نجدات قوية إلى مصر دحرت جيوش الفاطميين الجبرلة ، وردتهم على أعقابهم بعد نجاحهم في الاستيلاء على الإسكندرية وبعض المدن المصرية الغربية ، ثم توقفت الحملات الحربية على مصر بسبب ثورات قبائل المغرب ضد الفاطميين ، ولكنهم لم يقلعوا عن التدابير التي تمكن لهم من تحقيق حلمهم الذي يرى إلى التوسع في الاستيلاء على بلاد الشرق فإذا كان هنر مستشار ألمانيا قد نخر بأنه أوجد نظام الطابور الخامس في البلاد التي أراد الاستيلاء عليها ، وعد عمله هذا تقليداً جديداً في السياسة والحرب ، وهلل له أسدقؤه وخشيته أعدؤه ، وإذا كانت روسيا قد نجحت في بعض البلاد بفضل تنظييات الخلايا الشيوعية ، فإن هذه التنظييات التي تجري في عصرنا الحديث لا تقاس بشيء

بالنسبة إلى تنظيمات الإسماعيلية في الديانة ، وكان ذلك منذ أكثر من ألف سنة ، وستحدث في كتابنا هذا عن التنظيمات الإسماعيلية قد فطن الإسماعيلية إلى الديانة وما لها من نتائج وآثار لها تكون أقوى من الحلات الحربية ، وقد فشلت حملاتهم الأولى على مصر ، فأرسلوا إلى مصر حملة من الدعاة يمشرون بقائد الإسماعيلية وفضائل الأئمة وقرب الخلاص من ظلم الحاكمين وجشع الإخشيديين ، ويمدون الناس بمدلة اجتماعية في ظل حكم إمام من نسل رسول الله ( ص ) .

ويذكر المؤرخون أسماء بعض هؤلاء الدعاة الذين كان لهم شأن في مصر قبل أن تفتح حربياً ، ففهم الداعي فيروز وكان كبير دعاةهم ، ولكنه نفي الأئمة وغدر بالإمام المهدي وترك مصر إلى اليمن حيث اتصل بعلي بن الفضل الذي نفي اليمن ، وقام بقيادة حملة الديانة في مصر أيضاً الداعي أبو علي — وكان مهر فيروز ولكنه ظل على وفائه للمهدي — ثم ابنه محمد أبو الحسين ابن الداعي أبي علي ، وقد بلغ هذا الداعي أعلى مراتب الدعوة في عهد الأئمة المهدي والقائم والنصور بالله والعز الدين الله ، كذلك نسمع من الداعي أبي جعفر بن نصر الذي كان له مكانة خاصة في قوس المصريين ، وكان من جلساء كافور الإخشيد ، وكانت داره بالفسطاط مجماً للعلماء والعلماء ، ولا شك أنه كان يث فيهم آراءه وتعاليمه دون أن يخشى بطش كافور أو ميون الخلفاء المباسيين ، فيفضل جهود

هؤلاء الدعاة ، دخلت التعاليم الإسماعيلية مصر . وقبلها بعض  
 المصريين قبل أن تدخلها جيوش المماليك سنة ١٢٥٨ هـ . بل  
 ذهب المؤرخون إلى أن كثيراً من المصريين من المسلمين والأقباط  
 كانوا المهدي لقرى مصر وبعضهم كتب بهجوه وفي ذلك يقول  
 أحد الشعراء المصريين بهجوه المهدي :

فإن أنت بالمهدي السفاهة والخنأ

أرين لي فقد حققت على وجهك الريب

فلو كنت من أولاد أحمد لم ينب

عن الناس ما نسمو إليه من التسب

ولو حكمت منهم ما انتهكت محارماً

يذبون عنها بالأسنة والشهب

أبحت فروج الحصنات وبعت من

أصبت من الإسلام ييمك للجلب

وكم مصحف حرقته فرماده

مثاره منى الريح من حيث ماتهب

كفرت بما فيه وبدلت آيه

وفضيت جبل الدين كفرأ فاعقب

وقال آخر في مكالبة المصريين للمهدي :

وقد حشدوا المصريون مصر له خرط القتاد وأى خرط

وأقبل جاهلاً حتى تخطفى      وجاز بجهله حد التخطى  
 يكتب جماعة قد كاتبوه      من أقباط مصر وغير قبلى  
 وكل كاتبوه وانفقونا      وكل فى البلاد له موطن

كان ذلك كله قبل أن يتمكن القائد أبو الحسين جوهر  
 الكاتب من أن يفتح مصر بجهوشه ، ومهما يكن من شيء فقد  
 دخلت جيوش الشيعة الإسماعيلية مصر سنة ٣٥٨ هـ بقيادة جوهر  
 الصقل وأدال من دولة الإخشيديين ، وبني مدينة القاهرة وشيد  
 فيها الجامع الأزهر استمداً لأن تكون هذه المدينة عاصمة ملك  
 الفاطميين ومركزاً طاماً لقيادة دعوتهم ، حتى يستطيعوا أن يحققوا  
 سياستهم فى الاتجاه نحو بلاد الشرق الإسلامى التى كانوا يتطلعون  
 إلى الاستيلاء عليها ، وخاصة بغداد عاصمة الخلافة العباسية عدوتهم  
 اللدود ، وكانت كل الظروف مهيأة لتحقيق حلمهم ، فالحالة  
 السيئة التى كان عليها خلفاء بنى العباس إذ ذاك كانت من أهم  
 الأسباب التى ساعدت على انتشار نفوذ الإسماعيلية فى البلاد  
 الإسلامية ، فقد كان خلفاء بنى العباس العويّة فى أيدي قوادم  
 من الأتراك منذ استعان بهم المنصور العباسى ثم جاء البويهيون ،  
 وهم من الخنيزك وكانوا يسطون التشيع وتظاهرون به أحياناً ،  
 واستولوا على مقاليد الحكم فى فارس والعراق ، فأصبح الخلفاء  
 العباسيون لأحول ولا طول معهم سوى النحاء باسمهم على المنابر ،  
 أما السلطة الفعلية وتصريف أمور البلاد فكانت بأيدي البويهيين ،

وبجانب ذلك فقد انقسمت أملاك العباسيين إلى دويلات وإمارات صغيرة وحارب بعضها بعضاً ، وكانت أسماء هذه الدويلات لا يبالون في قليل ولا كثير بالخلافة العباسية المريضة المتهاككة ، إنما اهتم كل أمير بنفسه وباستقرار الحكم لأبنائه من بعده ، وتوسيع رقعة دويلته ولو كان ذلك كله على حساب الخليفة العباسي نفسه ، وكانت الشعوب في هذه الإمارات تتطلع إلى منقذ ينقذهم من الأسماء ، ويسأل على أن يعلأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، أي أن هذه الشعوب المعذبة كانت تتطلع إلى المهدي المنتظر الذي سينشر العدل بين الناس ، وهذا هو أول عامل في الدعوة الشيعية عامة استله دعاة الإسماعيلية النبطيين في كل مجتمع ، فنشروا بين الشعب ، أحاديث كثيرة عن عدل أئمة الإسماعيلية ، وأنهم ما قاموا بتأسيس دولتهم إلا لخير الإنسانية ورفاهية المجتمع ، مما جعل الناس في جميع البلاد الإسلامية ينظرون إلى خلفاء الدولة الفاطمية القنية نظرتهم إلى أملهم في الخلاص من شقاءهم ، واعتنق كثير منهم للذهب الإسماعيلي لا إيجاباً منهم بالمقيدة الإسماعيلية ، إنما لأملهم في أن يحكم الأئمة بلادهم فيسود فيها العدل والسلام ، وقويت روح الشيعة الإثني عشرية في العراق وقرس لوجود دولة شيعية تستطيع أن تحميهم وتساعدهم إن حاق بهم مكروه ، كما كان لوجود البوهميين أثر في قوة الشيعة وانشغال آرائهم ، ويقال إن البوهميين أنفسهم هموا بالدعوة للإمام الإسماعيلي

على منابر بغداد لولا أن ظروفًا سياسية خاصة منعتهم من ذلك ،  
كل هذه العوامل ساعدت أئمة الإسماعيلية على بسط سلطانهم على  
بلاد الشام والعرب واليمن ، كما كانت شمال أفريقيا من المحيط  
الأطلسي حتى برزخ السويس وجزيرة سقلية وجنوب إيطاليا  
تدين بطاعتهم وتكون أجزاء من إمبراطوريتهم ، وفي الوقت  
نفسه كان لهم أتباع عديدون منتشرون في بلاد فارس والهند ،  
وذلك كله بفضل جهود النعاة الذين بعثوا بهم في كل مجتمع ،  
حتى إن الأمير نصر بن أحمد الساماني اعتنق مذهبهم على يد الداعي  
التسني ، والملك أبا كاليجار البويهى ملك فارس اعتنق هذا المذهب  
على يد الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى ، بل استطاع  
الفاطميون أن يستميلوا إليهم أبا الحارث البساسيري قائد القوات  
العباسية بالعراق ، قامتك بغداد نفسها سنة ٤٥٠ هـ ، وخطب  
على منابرها باسم صاحب مصر الإمام الإسماعيلي المنتصر بالله ،  
وظلت الخطبة له في بغداد لمدة سنة كاملة ، انتشر فيها المذهب  
الإسماعيلي في العراق انتشاراً سريعاً واستجاب لدعوتهم أمير الحلة  
وأمر واسط وأمر الكوفة وأمر بلاد الجزيرة وغيرهم من أمراء  
العراق ، ولولا هزيمة الإسماعيلية الفاطميين أمام جيوش طغرل  
بك السلجوقي ، وتهاون الوزراء في مصر لأسباب شخصية  
محضة لاكتسح الإسماعيلية جميع البلاد الإسلامية في الشرق  
وأخضعوها لسلطانهم حتى جبال هيمالايا ، ولحقوا بذلك سياستهم

التقليدية التي رسمها مؤسس دولتهم عبيد الله المهدي . ولكن ظهور السلاجقة الأتراك وانتصارهم على جيوش الفاطميين حالا بينهم وبين أطماعهم في تحقيق حلمهم ، كما كان لظهور حركة الصليبيين في أوروبا وحشدهم الجموع النفيرة لاستخلاص الأراضي المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين ، ثم طمعهم بعد ذلك في الاستيلاء على بعض البلاد الشامية التي كانت في قبضة الدولة الفاطمية ، كان لذلك أثر كبير في اضطرار نفوذ الإسماعيلية في العالم الإسلامي ، أضف إلى ذلك ما حل بمصر مركز دولتهم وقتلها النابض من عن وجعاجع وما ترتب على ذلك من ثورات أثرت على الحياة الاقتصادية ، بحيث اضطر الإمام الإسماعيلي إلى أن يتقبل إحسان بعض المحسنات التي كانت تبعث إليه برغيفين كل يوم ، كما كان يستعير بقة دامي الدعاة ليركبها وذلك لخلو قصوره من المأكول ومن الدواب ، فطمع بعض الأثماء في الاستقلال بإماراتهم . ومن الطريف حقاً أن تكون بلاد المغرب أول بلاد خلعت طاعة الإمام الإسماعيلي ، وأعلنت مذهب أهل الجماعة والسنة ، مع أن بلاد المغرب كما رأينا من قبل كانت البلاد التي نصرت عبيد الله المهدي ، وساعدته في تأسيس دولته وبسط نفوذه . وقد أراد أحد وزراء الفاطميين بمصر أن يقاتل بلاد المغرب على تمردها وخروجها عن طاعة الفاطميين فبعث إليهم بجيش قوامه عرب بني هلال الذين كانوا يعيشون فساداً في البلاد

المصرية ويكثرون القتل والنهب دون خشية السلطان ، فخدم  
 الوزير المصري وأرسلهم إلى الغرب ، وهناك كانت لهم وقائع  
 وجوادث هي الأساس في تلك القصة الشعبية المروعة « قصة  
 أبي زيد اللال والزناني خليفة » التي لا تزال تنشد إلى يومنا هذا .  
 كذلك ضعفت هيبة الإمام الإسماعيلي في مصر عاصمة  
 إمبراطوريتهم ، وقد ذكرنا من قبل كيف تنهك المصريون بنسبهم منذ  
 قدومهم البلاد المصرية بالرغم من وجود عدد من المصريين رحبوا بهم  
 واعتنقوا مذهبهم ، ولكن ظهرت حركة تأليه الحاكم بأمر الله  
 على أيدي جماعة من القرم وفدوا على مصر يشيرون بمقاتلتهم  
 الإلحادية الجريئة ، وقام المصريون يناهضون هذه الآراء تارة  
 بالاعتداء على جماعة التأليه حتى قتلوا أحدهم وفر الباقون من مصر خوفاً  
 على حياتهم ، وتارة أخرى باستخدام المصريين سلاحهم التقليدي  
 وهو النهم والسحرية وإرسال النكة بالإمام تلو النكة الحاكم  
 بأمر الله وفكرة تأليهه وبدعائه ، فأزعج الحاكم بأمر الله على أن  
 ينتقم من المصريين فأحرق مدينة القسطنطين ، فزاد سخط المصريين  
 على الأئمة الإسماعيلية ، وكثر تنذر المصريين بهم ، وطرخوا عقيدة  
 الإسماعيلية من نفوسهم ، أو على الأقل كثر شكهم في العقائد  
 الإسماعيلية ، كما أن الوزراء انهزوا فرسة ضعف الأئمة الإسماعيلية  
 واعتمادهم على الجنود المرتزقة أو على المهاليك من السودان والأرمن  
 والصقالبة فتلاعبوا بالأئمة وبصالح البلاد ، وكثرت المنازعات



والمشاخات على تولي منصب الوزارة ، فكان كل واحد من هؤلاء المستوزرين يعمل لمصلحته الشخصية دون اهتمام بمصلحة البلاد أو مهارة للنظام القائم أو لإمام العقيدة التي دأبوا بها إلى درجة أن هؤلاء الوزراء تلاعبوا بالعقيدة نفسها ، ولم يبالوا بها ، فكانوا يعينون الإمام الذي يريدونه حتى لو لم يكن له الحق — حسب العقيدة الإسماعيلية — في الإمامة ، فالعقيدة الإسماعيلية توجب تسلسل الإمامة في الأعقاب مع وجوب النص على من يتولى الإمامة من أولاد الإمام ، ولكن هذه العقيدة الأساسية التي قام عليها مذهب الإسماعيلية والتي تكونت على أساسها فرقة الإسماعيلية لم يأت بها الآتية أنفسهم ، فمن باب أولى أن يتلاعب بها الوزراء ، فقد حدث أن المرز لدين الله الإمام الرابع من آتة دور الظهور نص على أن يليه ابنه عبد الله ، ولكن عبد الله توفي في حياة أبيه فعاد المرز ونص على ابنه المرز دون أن يقيم وزناً للعقيدة الإسماعيلية ، وحدث كذلك أن الإمام المستنصر بالله نص على أن يتولى الإمامة بعده ابنه نزار ، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الأرمني الجنس انتهب فرصة وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هـ وأعلن إمامة المستمل بن المستنصر — وكان طفلاً صغيراً — وهو ابن أخت الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، وليس بغير أن ينحى الوزير صاحب النص عن حقه ويولى ابن أخته الصغير حتى يتمكن من فرض سلطانه فرضاً تليماً على الإمام وعلى البلاد بأمرها ،

ولم يكف الوزير بإعمال زاز بن المستنصر صاحب الحق في الإمامة بل زاء يقبض عليه وعلى ابنه ويحبسهما في أحد حصون القاهرة ثم يبي عليهما حائطاً إلى أن توفيا ، الأمر الذي ترتب عليه أن عدداً كبيراً من العامة ومن أتباع المذهب الإسماعيلي أجوا أن يبايعوا المستنصر ، ولم يمتروا بإقامته وتنادوا بإمامة زاز وأبناؤه من بعده ، وبذلك انقسمت الفرقة الإسماعيلية إلى فرقتين : فرقة الإسماعيلية الزارية أو الإسماعيلية الشرقية وفرقة الإسماعيلية المستنصرية أو الإسماعيلية الغربية ، كما ترتب على ذلك أيضاً أن ازداد ضعف العقيدة الإسماعيلية في نفوس المصريين وازداد تهكمهم بالآفة والوزراء مما سهل لصلاح الدين يوسف بن أيوب أن يجمعوها من مصر على نحو ما سند ذكره .

انقسمت الإسماعيلية إذن إلى هاتين الفرقتين الزارية والمستنصرية سنة ٤٨٧ هـ ، وكان بعض أتباع الدعوة الإسماعيلية قد انشقوا عنها سنة ٤٠٨ هـ وكونوا لأنفسهم مذهباً خاصاً بعيداً كل البعد عن العقائد الإسماعيلية ، فقد ذكرنا أن بعض العامة من القرم وفدوا على مصر وتنادوا بالوهمية الحاكم بأمر الله ، وكان على رأس هؤلاء العامة حمزة بن أحمد والبرزى وخوتكين ، وقتلنا إن المصريين ثاروا ضد هؤلاء العامة ثورة عنيفة وقتلوا خوتكين وبعض أتباعه ، فهرب البرزى وحمزة إلى بلاد الشام حيث استطاعا أن يجيدا شيئاً من النجاح في جذب بعض قبائل بني كلب إلى آرائهما ، وأوجدا

فرقة خاصة منشقة عن فرقة الإسماعيلية هي الفرقة التي تعرف الآن بالدروز القيمين في سورية ولبنان وشمال فلسطين .

قالدروز إنن فرقة كانت من الإسماعيلية ثم انحلت لنفسها عقائد وآراء خالفت بها العقائد والآراء الإسماعيلية إلى درجة أن دعاة الإسماعيلية أنفسهم اضطروا إلى الرد على دعاة تأليه الحاكم الدين أنشأوا فرقة الدروز ، بل اضطروا أكبر عالم من علماء المذهب الإسماعيلي حينذاك ( أي في سنة ١٠٠٨ هـ ) ، وهو أحمد حميد الدين الكرمانى إلى أن يترك مقره بالعراق ، وأن ينفذ إلى مصر ليهدى " ثورة دعاة الإسماعيلية فيها ضد فكرة تأليه الحاكم بأمر الله ، وأن ينفذ آراء أدعاة التأليه ، وكتب في ذلك رسالته المعروفة « بالرسالة الواقعة »<sup>(١)</sup> ، يثبت فيها كفر وإلحاد كل من تحدّث نفسه بتأليه الحاكم بأمر الله ، ولم يترك أحمد حميد الدين الكرمانى مصر إلا بعد قتل الحاكم بأمر الله ، فانشقاق الدرزية عن الإسماعيلية هو أول انقسام حدث في الطائفة الإسماعيلية ، وكان الانقسام الثانى هو ظهور فرقة الزارية وفرقة الستملية ، ولكن هناك ملاحظة جديرة بأن نسجلها الآن لما لها من أهمية في تاريخ الطائفة الإسماعيلية : تلك أن إسلام الإسماعيلية منذ ظهور المهدي سنة ٢٩٧ هـ إلى وفاة المستنصر سنة ٤٨٧ هـ ، كان معترفا به عند

(١) نشرت هذه الرسالة بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة في المجلد

الرابع عشر ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٢ .

كل أتباع المذهب الإسماعيلي . ولكن عقائد الإسماعيلية كانت مختلفة باختلاف البلاد ، فالعقائد لم تكن موحدة ، وكان الدعاة أنفسهم مختلفين في آرائهم ومعتقداتهم ، مما يجعلنا نقول إن المذهب الإسماعيلي لم يكن واحداً في أي وقت من الأوقات ، وستفصل ذلك في حديثنا عن عقائد الإسماعيلية .

أما أئمة دور الظهور حتى الانقسام الثاني فهم :

١ - عبيد الله الهمدي . صاحب الظهور بالغرب : استولى على رقادة في ٤ ربيع الثاني سنة ٢٩٧ هـ .

٢ - القائم بأمر الله أبو القاسم محمد : تولى الإمامة في ١٤ ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ .

٣ - النصور بالله أبو طاهر إسماعيل : تولى الإمامة في ١٣ شوال سنة ٣٣٤ هـ .

٤ - العزيز بالله أبو نعيم محمد : تولى الإمامة أول ذي القعدة سنة ٣٤١ هـ ، وفي عهده فتحت مصر في شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وانتقل إليها في رمضان سنة ٣٦٢ هـ وأصبحت قاعدة ملكة .

٥ - العزيز بالله أبو منصور نزار : تولى الإمامة في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ .

٦ - الحاكم بأمر الله أبو علي النصور : تولى الإمامة في ٢٩ رمضان سنة ٣٨٦ هـ .

٧ - الظاهر أبو الحسن علي : تولى الإمامة في ١٠

ذي الحجة سنة ٤١١ هـ .

٨ - المستنصر بالله أبو تميم محمد : تولى الإمامة في ١٥ شعبان

سنة ٤٢٧ هـ وتولى سنة ٤٨٧ هـ .

هؤلاء هم الأئمة الذين كانوا قبل انقسام الطائفة ، ولنتحدث

الآن عن الفرقتين الإسماعيلية الغربية والإسماعيلية الشرقية ،

ولن نتحدث عن الدروز لأنهم بدأوا عن الطائفة الإسماعيلية .

## الفصل الثالث

### الإسماعيلية الغرية

الإسماعيلية الغرية أو الإسماعيلية المستعيلة هم الذين اعترفوا بإمامة المستعلي بن المستنصر الذي نادى به خاله الوزير الأفضل بن بدر الجبال إماماً سنة ٤٨٧ هـ ، وهؤلاء هم إسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام ، وقد ذكرنا أن المستعلي تولى الإمامة وهو صغير السن إذ كان في العشرين من عمره ، فترك شئون الحكم وسياسة الدولة إلى خاله الأفضل ، وعكف على اللهو والمجون ، وفي عهده بدأت الحروب الصليبية ، وحاول الأفضل أن يرد الحملة الصليبية ، فخرج من مصر على رأس الجيش لمحاربة الصليبيين ، ولكن الجيش المصري تمرد ، فاضطر الأفضل إلى العودة إلى مصر دون حرب ، وترك الصليبيين يحققون مطالبهم ، فاستطاعوا أن ينتهزوا البلية تلو البلية ، ولم يأبه الإمام الإسماعيلي أو وزيره بمخطر المستعمرين الأوروبيين ، وما أسوءه من إمارات في بلاد الشام ، كذلك يقول عن الإمام الإسماعيلي خليفة المستعلي وهو ابنه الأسير بأحكام الله التي ولي الإمامة وله من العمر خمس سنوات ، وكان في كفالة الوزير الأفضل ثم في كفالة أحمد بن الأفضل الذين استقيدا بالسلطان في البلاد ، وتركوا الإمام الأسير للهوى ، ثم

تولى الوزير مأمون البطائحي قاستبد بالسلطة كلها ، وكان الأمر قد شب وكثر عبثه ، فكانت هوائيه المفضلة هي الجري وراء الفتيات الأعمرييات ، وقصته مع الفتاة البدوية التي أولع بها وتزوجها وبنى لها هودجاً في جزيرة الروضة أصبحت من القصص الشعبية التي يرويها الشعب المصري مثل قصص ألف ليلة وليلة .

على أن الإمام الأمر قتله الإسماعيلية الزارية سنة ١٥٢٢ هـ ، وهو يعبر الجسر المؤدى إلى جزيرة الروضة لزيارة معشوقته البدوية ، وكان مقتله بدء تطور جديد في تاريخ الإسماعيلية ، ذلك أن الإمام الأمر لم ينجب ولداً يتولى الأمر بعده ، فبين همه الحافظ عبد المجيد ابن المستنصر إماماً بالنيابة أو « إماماً مستودعاً » على حسب اصطلاح الإسماعيلية ، ولكن سرعان ما دعا الحافظ عبد المجيد نفسه بالإمامة الكاملة بالرغم من مخالفة ذلك للعقيدة الإسماعيلية وللتقاليد السابقة ، ولكن العقيدة الإسماعيلية كان قد ضعف أمرها في نفوس الناس ولا سيما في مصر ، ولذلك لم يأبه المصريون إن كان الحافظ عبد المجيد إماماً بالنيابة أو إماماً حقاً ، فقد هان أمر الإمامة والعقيدة في نظرهم منذ عهد الحاكم بأمر الله ، ولم يعد المصريون ينظرون إلى قدسية الإمام إلا إذا استلينا منهم هؤلاء الوصوليين الذين يريدون تحقيق مآربهم الشخصية ، وخاصة جماعة التصليين بالقصر ، وقد بلغ من استهانة المصريين بالإمام الحافظ أنهم حاصروه ومطالبوه بقتل ابنه الحسن بن الحافظ ولاقتلوا

الحفاظ نفسه ، فانتظر إلى أن يجيبهم إلى طلبهم . ولعل هذه القصة تعطينا فكرة عن مدى ضعف الإمامة الإسماعيلية في مصر ، ولم يكن للذهب الإسماعيلي - في عهد إمامته أو عهد إمامة من تبعه - أتباع إلا من اعتنق الدعوة الإسماعيلية في مدن ومصر فقط ، إذ قد هؤلاء الأئمة أتباعهم في البلاد الأخرى . ثم استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يقوض دولتهم من مصر سنة ٥٦٧ هـ ، ويعيد الخطبة في مصر للخليفة المستضيء العباسي ، وبذلك انقضى هذا الفرع من الطائفة ولم يعد له وجود بعد ذلك .

هكذا كان أمر الإسماعيلية المستعيلة في مصر ومدن ، ولكن كان للإسماعيلية المستعيلة شأن آخر في حين في عهد الصليبيين الذين رأوا رأياً في الإمامة بعد اغتيال الأمر بخالف رأي المصريين ، واتخذوا لأنفسهم إماماً غير الذي اتخذه المصريون ، فكونوا بذلك فرقة إسماعيلية مستعيلة جديدة هي التي استمرت بعد أن انقرضت فرقة الإسماعيلية المستعيلة بمصر على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ ، ولا تزال هذه الفرقة المستعيلة الجديدة قائمة إلى اليوم باسم « الإسماعيلية الطيبة » واسم « الإسماعيلية البهية » ، وقبل أن نتحدث عن هذه الفرقة نرى أولاً في إيجاز بشيء عن الصليبيين الذين أوجدوا هذه الفرقة<sup>(١)</sup> .

(١) الأستاذ المختل الدكتور حسين فهمي في كتابه « مستطع من بعنوان الصليبيون والحركة الفاطمية في اليمن » ( طبع مكتبة مصر بالمطبعة )



رأينا كيف أسس منصور اليمين دولة إسلامية في بلاد اليمين  
 ولكن هذه الدولة لم تمش طويلا إذ سرعان ما عادت اليمين مرة  
 أخرى إلى حكم القبائل المختلفة المتنازعة المتشاحنة . وكانت أكثر  
 هذه القبائل تدين بالولاء للخلافة العباسية ، على أن عدداً من  
 اليمينيين كان لا يزال على ولائهم للإمام الإسماعيلي ، واستمر الأمر  
 كذلك حتى كانت سنة ٤٣٩ هـ حين قام الطوسي على بن محمد الصليحي  
 بشوة استطاع بها أن يخضع بعض قلاع وحصون اليمين لسلطانه  
 وأن يدعو بها للإمام الإسماعيلي المستنصر بالله صاحب مصر ،  
 واستمر في غزو مدن اليمين حتى داف له كلها في سنة ٤٥٥ هـ ،  
 بل استمر في فتوحاته حتى دخل مكة للكرمة ، وكانت قد خرجت  
 عن طاعة الإسماعيليين ، ونهياً لفتح العراق وانزاعه من أيدي  
 العباسيين لولا أنه قتل سنة ٤٥٩ هـ . فني مدة حكمه القصيرة التي  
 تبلغ عشرين عاماً استطاع أن يوحد بلاد اليمين تحت حكمه وأن يضم  
 إليها بلاد الحجاز ، كما أعاد الدعوة الإسماعيلية إلى اليمين واستمر  
 الحكم في أهل بيته باسم الإمام الإسماعيلي بمصر ، إلى أن تولى  
 السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية الحكم وفي عهدها  
 تولى الإمام الأمر بأحكام الله وتولى الحافظ عبد المجيد على نحو  
 ما ذكرناه من قبل ، ولكن الصليحيين رفضوا الاعتراف  
 بالحافظ لأنه ليس له حق في الإمامة ، وزعموا أن إحدى زوجات  
 الإمام الأمر المقتول كانت حملاً ، ثم إنها وضعت طفلاً ذكراً

اسمه الطيب بن الأمر ، فالإمامة إذن لهذا الطفل الذي خاف عليه أحد الدعاة فأخفاه عن الحافظ وأرسله في «مقطف» إلى الملكة الحرة أروى الصليحية باليمن ، وهذه الملكة أخته وجمعت نفسها كفيفة عليه وناتبة عنه في تولي شئون الدعوة الإسماعيلية ، وانخفضت لنفسها لقباً (كفيلة الإمام المستور الطيب بن الأمر) .

معنى هذا أن الصليحيين باليمن أوجدوا لهم دعوة جديدة : هي الدعوة الطيبية نسبة إلى الطيب بن الأمر الطفل الذي دخل دور السر ، بحيث أصبحنا لا نعرف شيئاً عن الأئمة المستورين منذ اعتراف الصليحيين بإمامة الطيب ، ولم يذكر أحد من المؤرخين أسماء هؤلاء الأئمة . وفي اعتقادي أن قصة الطيب هذه أقرب إلى الأساطير الخيالية منها إلى الواقع التاريخي ، فإن أحداً من المؤرخين لم يذكر وجود الطيب بن الأمر إلا ما زراه في كتب دعاته . أما ما يقال من وجود سجل وجهه إلى الملكة الحرة من الأمر قبل مقتله فإنه في رأيي سجل موضوع قصد به إلباس القصة ثوب الحقيقة حتى يتسنى للصليحيين ومن تبعهم الاعتقاد بحقيقة إمامة الطيب ، والصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدم هم وحدهم الذين تحدثوا عن الطيب ، بينما سكت المؤرخون عنه فلم يذكروا حتى مجرد اسمه في كتبهم ، بل ذهب المؤرخون إلى أن زوجة الأمر التي كانت حليماً عند موته وضمت أغنى ، ولكن الصليحيين قالوا بل وضمت ذكراً هو الطيب ، ونحن نتساءل من سبب ستره

مع أن الدولة كانت دولة الصليحيين والسלטان في أيديهم فلم قبلوا أن يدخلوا إمامهم السر وأن يخفوه ما داموا يدعون له ويدينون بطاعته وإيمانه ، يخيل إلّو أن الصليحيين وضروا قصة الأمر هذه ، حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الديني وأن يستقلوا بالنفوذ الديني والسياسي معاً . وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكرؤها الشديد وحرصها على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أنها كاتل الإمام المستور وحجته الكبرى ، وسار على نهجها كل داع مطلق في الدعوة إلى الآن . ومهما يكن من شيء فقد انقضت الدولة الصليحية في سنة ٥١١ هـ ولم يتم أتباع الدعوة الطيبة بأي نشاط سياسي بعد ذلك ، بل ركنوا إلى التجارة وعاشوا في محيط خاص بهم ، وكان كثير منهم يتخذ الثقة فلا يظهر إسماعيليته بالرغم من وجود داعية لهم ينوب عن إمامهم المستور في نصريف أمورهم الدينية . وقد هبأت التجارة التقليدية بين اليمن والهند فرصة لنشر الدعوة الإسماعيلية الطيبة في الهند ، ولا سيما في ولاية جوجرات جنوب بمباي ، وأبلل جماعة من الهندوس على اعتناق هذه الدعوة حتى كثر عددهم هناك ، وعرفت الدعوة بينهم باسم البهرة ، وكلمة البهرة كلمة هندية قديمة معناها التاجر .

ولكن هذه الدعوة الطيبة انقسمت في القرن العاشر الهجري إلى فرقتين : فرقة البهرة المللوودية وفرقة البهرة السليانية ويرجع

هذا الانقسام إلى أغلاف على من يتولى مرتبة الداعي المطلق للطائفة ، فالفرقة الداودية تنسب إلى الداعي قطب شاء داوود ، وهو الداعي السابع والعشرون من سلسلة دعاة الفرقة المستعيلة الطيبة المتوفى سنة ١٠٢٦ هـ ، والفرقة السليمانية تنسب إلى الداعي سليمان بن حسن الذي أتباعه الاعتراف بـ داوود واعترفوا بسليمان في سنة ٩٩٧ هـ داعية لهم . على أن مركز دعوة الفرقة الداودية انتقل من اليمن إلى الهند في القرن العاشر الهجري ، وداعيتهم الآن هو طاهر سيف الدين . وبعد الداعي الحسادى والحسين من سلسلة دعاة الدعوة الطيبة ويقع في مدينة بومباي ، وهو كما ذكرنا برتبة الداعي المطلق ، وهي مرتبة وراثية تنتقل من أب إلى ابن ، وساحبها يتمتع بنفس الصفات التي كان يوسف بها الأئمة ، على أنها صفات مكتسبة وليست ذاتية . وكذلك داعي الفرقة السليمانية على بن حسن الذي بقيم في اليمن ، ولذلك يتمتع الداعيان الداوودى والسليمانى بسلطة روحية تامة على أتباعهما ، هي نفس سلطة الأئمة في العصور الوسطى ، ونستطيع أن ندرك مدى هذه السلطة الروحية التي للداعيين إذا عرفنا أن طائفة البهرة بفرعها متعصبون أشد التعصب لذهبهم وعقيدتهم ، ومن ثم حافظوا على عقائدهم التي ورثوها منفعهد الصليبيين محافظة تامة ، ولا يقبلون تبديلا لتلك التقاليد أو تطورها مع تطور الزمن ، حتى إنك تعرف في سهولة رجل البهرة من ملابسه ومن لحيته

وتميز المرأة من البهرة في الطريق من ( الحجرة ) التي ترتديها  
والنقاب الكتيف الذي تخطى به وجهها ، ويتخذون أما كن خاصة  
لهم للعبادة لا يدخلها غيرهم أطلقوا عليها اسم « جامع خاته »  
فهم لا يؤدون فريضة الصلاة إلا في « الجامع خاته » ويرفضون  
أن يقيموا الصلاة في المساجد التي لتيرهم من المسلمين ، وذلك  
إيماناً منهم في ستر عقائدهم الذهبية ، والحرص الشديد على أن  
لا يعرفها غيرهم من الناس ، مع أنهم شديدو التحسك بفرائض  
الدين وأركانها وأن عقيدتهم في « الظاهر » لا تختلف عن عقائد  
غيرهم من المسلمين . أما عقيدتهم في « الباطن » فهي بيده كل  
البعد عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهم مثلاً يؤدون الصلاة كما  
يؤديها المسلمون ويحافظون على حدودها وأركانها كالسليين تماماً ،  
ولكنهم يقولون إن صلاتهم هذه للإمام الإسماعيلي المستور من  
نسل الطيب بن الأمر ! ويندبون إلى مكة المكرمة لتأدية الحج  
في موسمهم شأنهم في ذلك شأن جميع المسلمين ، ولكنهم يقولون  
إن السكبة التي يطوف حولها الحجاج هي رمز على الإمام ،  
وهكذا على نحو ما ستحدث عنه في الفصل الخاص بالعقائد في  
هذا الكتاب .

ويجب أن نعرف هنا بهذه الخدمة الجليلة التي أدتها طائفة  
البهرة لتاريخ الإسماعيل بفضل محافظتها على التقاليد الإسماعيلية ،  
إذ استطاع دعاؤها أن يحتفظوا بشطر كبير من المؤلفات الدينية

والأدبية التي وضعها علماء ودعاة الدعوة في مصر في العصر  
 الفاطمي ، بينما ضاعت هذه الكتب من مصر نفسها ، وكذلك  
 حافظوا على الكتب التي وضعها دعاة فارس واليمن في العصر  
 الفاطمي ، فلولا احتفاظ دعاة البهرة بهذه الكتب الفاطمية لما  
 عرفنا شيئاً عن حقيقة الدعوة الإسماعيلية إلا عن طريق كتب  
 أعداء الإسماعيلية ، ولكن مما يؤسف له جداً أن محافظتهم على  
 التقاليد والقول بستر عقيدتهم أدى بهم إلى عدم السماح لأحد  
 بالوصول إلى كتبهم التي يقدسونها ، حتى إنهم غالوا في ستر  
 هذه الكتب ، فلم يكن الدعاة أنفسهم يسمحون لأبناء الطائفة  
 بالاطلاع على هذه الكتب ، ومنذ ثلاثة أعوام فقط أدن داعي  
 البهرة بالهند لأفراد الطائفة فقط بالاطلاع على هذه الكتب ، ومع  
 هذا الحرس الشديد الذي فرضوه على كتبهم فقد تسرب بعضها  
 إلى مكتبات مصر وأوروبا وأمريكا ، وقام بعض الباحثين  
 بنشر قدر لا بأس به من مخطوطاتهم في مصر وفي غير مصر ،  
 فلا أدري سبب تمسكهم بالحرس على ستر كتبهم بعد أن نشرت  
 هذه الكتب وعرفت أسرار عقائدهم . ومن الخير أن أذكر هنا  
 أهم الكتب الإسماعيلية التي نشرت في مصر فقط :

١ - كتاب دعات الإسلام للقاضي أبي حنيفة النعمان

ابن محمد المغربي « نشره الأستاذ آصف علي أسفر

فيضي » .

- ٢ - كتاب الهداية الأممية ، منسوب للإمام الأمر بأحكام الله « نشره الأستاذ آصف على أسفر فيضى » .
- ٣ - كتاب الكشف ، منسوب لجعفر بن منصور النجاشي « نشره المستشرق ستروتمان » .
- ٤ - كتاب الزينة ، للداعي أبي حاتم الرازي « نشره الأستاذ الدكتور حسين فيض الله الحمداني » .
- ٥ - اختصار الإمام ، للداعي أحمد بن إبراهيم النيسابوري « نشره المستشرق . و . إيفانوف » .
- ٦ - سيرة جعفر بن الحجاب ، للداعي أحمد بن إبراهيم النيسابوري « نشره المستشرق . و . إيفانوف » .
- ٧ - السجلات المستنصرية ( رسائل المستنصر بالله إلى الصليبيين ) « نشره الدكتور عبد النعم ماجد » .
- ٨ - المجالس المستنصرية ، للداعي « نشره الدكتور محمد كامل حسين » .
- ٩ - المهمة في آداب أنبياء الأنبياء ، للقاضي النعمان بن محمد الغربي « نشره الدكتور محمد كامل حسين » .
- ١٠ - رسالة الرشد والهداية ، للداعي منصور النجاشي « نشره الدكتور محمد كامل حسين » .
- ١١ - ديوان المؤيد في الدين داعي الهدى « نشره الدكتور محمد كامل حسين » .

١٢ - سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة ( كتبها المؤيد

نفسه ) « نشره الدكتور محمد كامل حسين » .

١٣ - راحة العقل ، للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى

« نشره الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد

مصطفى حلى » .

١٤ - الرسالة الواضحة ، للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى

« نشره الدكتور محمد كامل حسين » .

١٥ - الرسالة الدوية ، للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى

« نشره الدكتور محمد كامل حسين » .

١٦ - رسالة النظم ، للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى

« نشره الدكتور محمد كامل حسين » .

١٧ - ديوان الأمير تميم بن العزيز لدين الله « نشره محمد كامل

حسين وآخرين » .

١٨ - سيرة الأستاذ جوش ، لأبى منصور العزى « نشره

محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادى شعيره ) .

هذه هي أشهر الكتب الإسماعيلية التي نشرت في مصر في

السنوات العشر الأخيرة فقط ، ومنها ندرك أن دراسة الإسماعيلية

دخلت في دور جديد بعد تسرب الكتب التي يحتفظ بها البهرة

في مكاتب دعاةهم إلى الخارج ، وقد نشط أخيراً الإسماعيلية



وغير الإسماعيلية بالشام في نشر كتبهم وخاصة ما ألف منها في  
 مصر القاطني ، فقد علمت أخيراً أن أحد أستاذة جامعة دمشق  
 بنشر كتاب « تأويل دعائم الإسلام » ، وأن صديقنا الأستاذ طارف  
 ناصر يجمع الآن المخطوطات الإسماعيلية بسورية لإعدادها للنشر ،  
 وفي العراق نشر الأستاذ عباس المزايكي كتاب « سمح الحقائق »  
 للداعي أبي علي بن حنظلة ، ونشر الأستاذ محمد وحيد ميرزا أستاذ  
 اللغة العربية بجامعة لكةهو بالهند كتاب الاختصار للقاضي النعمان بن  
 محمد ، وهكذا يرأى الباحثون نشر مخطوطات الإسماعيلية مما سهل  
 دراسة تاريخ وعقائد الإسماعيلية ، وذلك كله بفضل محافظة البهرة على  
 ما تركه أجدادهم في مصر واليمن . وفضل آخر تذكره لدعاة البهرة  
 اللوودية بالهند : ذلك أنهم أنشأوا لهم في مدينة سورات بالهند  
 مدرسة لتدريس اللغة العربية والمقائد الإسماعيلية أطلقوا عليها  
 أخيراً اسم « الجامعة السيفية » . ولا أغالي إذا قلت إن علماء  
 البهرة في الهند أقدر من الهند على التحدث باللغة العربية وفهمها ،  
 وقد اعتاد « طاهر سيف الدين » داعي البهرة اللوودية أن يلقي  
 بنفسه محاضرات على أتباعه في شهر رمضان من كل عام باللغة  
 العربية ، وتطبع هذه المحاضرات في مجلدات باسم « الرسالة  
 الرمضانية » فلولا محافظة البهرة على تقاليدهم القديمة واهتمامهم  
 بآثار من سبقوهم لاضاعت اللغة العربية بينهم ، حقيقة أن طائفة  
 البهرة في الهند يتحدثون اللغة الجوجراتية أو اللغة الأوردوية ،

ولكن العلماء منهم يجيدون العربية إجابة عامة ، وطائفة البهرة  
 بفرعها يحترفون التجارة وخاصة تجارة الحدايد وأدوات المعادن  
 والتسوجات ، ولا يزيد عددهم في العالم على مائتي ألف نسمة  
 ترام متفرقين في بلاد الهند والباكستان و عدن ، وفي جبال  
 حراز باليمن طائفة منهم يطلق عليهم الآن القرامطة أو الباطنية  
 ولا يعرف عددهم تماماً ، والبهرة أبنا وجدوا يمثلون الأهليات  
 أظهر تمثيل من ناحية الوحدة القومية التي تربطهم بعضهم ببعض  
 وروح التعاطف والمساعدة مما جعلهم في حالة مالية يخدم عليها  
 الكثيرون ، فلا تجد بينهم فقيراً أو محتاجاً ، وإذا حلت بأحدهم  
 كارثة حب الباقون لمساعدته ، وهم جميعاً يقدسون داعيهم المطلق  
 تقديساً تاماً ويطيعونه طاعة عمياء ، وقد استغل المستعمر  
 الإنجليزي هذه الظاهرة ففتح الدماء من أسلاف « طاهر  
 سيف الدين » نفوداً ضخماً عربياً في الهند ، إذ ترك لهم الإنجليز  
 كل السلطة على أتباعهم حتى إنهم كان في استطاعتهم أن يحرموا  
 الوقي من الفغن في مدائن الطائفة ، وكان لهم أن ينشوا قبورهم  
 ابتغاءاً من أحد الأفراد ممن سوت له نفسه المنروج عن طاعتهم ،  
 ولم أن يستولوا على ما يتركه الميت من ذخائر ونفائس دون أن  
 يجرؤ أحد على مخالفة أمرهم ، واستغل الداعي سلطانه هذا لتنمية  
 ثروته ومضاعفتها ، فكان يفرض ضرائب مجببة على أتباعه ،  
 فتلا كل من يخالف التقاليد كان يدفع ضريبة للداعي ، فإذا أراد

أحد أفراد الطائفة أن يخلق لحية فعليه أن يدفع ضريبة للداعي ، وإذا أراد فرد أن يرتدي الزى الأوربي فعليه أن يدفع ضريبة للداعي ، وكل من يذهب إلى الحج عليه أن يدفع الضريبة وأن ينزل في الفنادق التي أقمها الداعي في مكة والمدينة وأما كن الزيرة بالعراق وتعرف « بالهرة خانه » . أما الآن بعد استقلال الهند فقد أصبح الداعي مواطناً عادياً خاضعاً للقانون شأنه في ذلك شأن أي فرد في الدولة ، وتقلص نفوذه السابق فأصبح لا يجتثأ أتباعه كما كانوا يخشونهم قبل ، وإن كانوا لا يزالون يقدسونه . ومع هذا النفوذ المطلق الذي كان للداعي قبل استقلال الهند ، فقد انشق من رياسته وخلع طاعته بعض أفراد قهوامته بعض تصرفاته المالية وكونوا لأنفسهم فرقة صغيرة ، نذكر من هؤلاء علي بن إبراهيم ( المتوفى سنة ١٦٢٤ م ) التي كون فرقة الطارية ، ومنهم فرقة الناجوشية الذين يقيمون في ولاية بارودا بالهند ، وهذه الفرقة كانوا في الأصل من براهما الهند تم اعتنقوا الإسماعيلية الطيبية حوالي سنة ١٧٨٩ م ، وللك زراهم يقيمون في مدينتهم نفس التقاليد التي عند البراهمة ومنها عدم أكل اللحوم ، وفرقة الحبشية أتباع هبة الله بن إسماعيل ابن عبد الرسول المتوفى في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وهؤلاء يقيمون الآن في أوجاف بالهند ، وفرقة مهدي باغ أتباع عبد الحسين بن جواجي المتوفى في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ويقيمون الآن في كنجبور بالهند ، وغير ذلك من الفرق

الصغيرة التي انشقت عن الفرقة الطيبة الداوودية ، ولكن أتباع هذه الفرقة قليلو العدد جداً ، وليس لهم أى نشاط سياسى أو اجتماعى إلا فى حدود فرقهم فقط .

هكذا كان شأن الدعوة الإسماعيلية القريبة أو الإسماعيلية المستعيلة التي كان مركزها مصر ، ومع ذلك لا يوجد الآن من المصريين إسماعيل واحد بالرغم من أن الإسماعيلية حكموا مصر زهاء قرنين من الزمان ، ولكن زال من مصر كل ما بذره الإسماعيلية فيها ، وبخيل إلى أن المصريين لم يمتنعوا هذه الدعوة من عقيدة يدينون بها ، إنما اعتنقها بعض المصريين من رغبة أو من رغبة طاحلة ، ثم سرعان ما عادوا إلى مساوئهم فطرحوا هذه العقيدة ، وعادوا إلى رأى أهل السنة والجماعة ، ومع ذلك كله فلا تزال بعض الرواسب الإسماعيلية فى مصر ولا سيما عند الدمام والعامية ، وستحدث عنها فى فصل المفائد الإسماعيلية .

أما أئمة الدعوة الإسماعيلية فى مصر فهم :

١ — المستعل أبو القاسم أحمد : تولى فى ذى الحجة سنة

٤٨٧ هـ .

٢ — الأصم أبو على للنصور : تولى فى صفر سنة ٤٩٥ هـ .

٣ — الحافظ أبو اليمون عبد المجيد : تولى فى المحرم سنة

٥٢٥ هـ .

٤ - الظاهر أبو النصور إسماعيل : تولى فى جمادى الآخرة

سنة ٥٤٤ هـ .

٥ - الفائز أبو القاسم عيسى : تولى فى صفر سنة ٥٤٩ هـ .

٦ - الماسد أبو محمد عبد الله : تولى فى رجب سنة ٥٥٥ هـ .

والذين يعترف بهم البهرة من هؤلاء الأئمة هم المستعلى والأمر  
قطب ثم العلي بن الأمر الذى دخل السمر سنة ٥٢٥ هـ . والأئمة  
الستورون من نسله إلى الآن . وهؤلاء الأئمة الذين فى السفر  
لا تعرف شيئاً عنهم حتى إن أسماءهم غير معروفة ، وعلماء البهرة  
أنفسهم لا يعرفونهم .

## الفصل الرابع الإسماعيلية الشرقية في فارس

كان للإسماعيلية الشرقية أو الإسماعيلية الزارية شأن خطير يختلف تمام الاختلاف عما كان للإسماعيلية الغربية ، فقد قام الزارية بدور كبير في السياسة في إيران والهند والشام ، وخشي بطنتهم الملوك والأمراء ، كما كان لهم أثر يذكر في الحروب الصليبية ، وذلك كله يرجع إلى النظام الجديد الذي أوجدوه في فرقهم وهو نظام القدائين .

ذكرنا أن الوزير في مصر الأفضل بن بدر الجمالي ولي ابن أخته الستمل إمامة الإسماعيلية ، فثار صاحب الحق الشرعي في الإمامة وهو زرار بن السفنصر ، ولكن فشلت ثورته وقبض عليه هو وابنه وقتلا ؛ وكان بمصر داعية من فارس وهو الحسن ابن الصباح ، جاء إليها طالباً إلى إمامه السفنصر بالله وذلك قبل موته بضع سنين ، وسمع منه أن زلراً هو صاحب الأمر من بعده ، فلما عاد إلى بلاده من مصر ، جمع حوله عدداً من الفلاحين الإيرانيين ، واستجاب له كل من شمر بظلم السلاجقة الأتراك وسوء حكمهم ، ولا سيما ما كان من ملكشاه السلجوقي الذي كان

عشروماً ظالماً إلى أبعد حد ، فقد اضطلع الناس جميعاً ولا سيما طائفة الشيعة وخاصة الإسماعيلية منهم اضطلاعاً شديداً لم يعرف من قبل ، وقتل منهم عدداً كبيراً ، مما جعل الناس في عهده تراودهم أحلام الشيعة الذهبية القديمة من نحي وجود إمام يملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، فجاءهم الحسن بن الصباح يشر بقرب تحقيق هذا الحلم ، فاستطاع في فترة وجيزة وبمن التفت حوله من جموع الفلاحين أن يصارحوا أعداء الإسماعيلية صراحةً عنيفاً جذراً .

وأتخذ الحسن بن الصباح مبدأ القتل وسيلة لتحقيق أهدافه ، فكان بأمر أتباعه بالقتال كل من يقف في طريقه أو يخافه ، حتى استطاع أن يبتلع قلعة الموت (جنوبي بحر قزوين) ، وأن يؤسس بها الدولة الإسماعيلية التي عرفت في التاريخ بأسماء متعددة مثل الإسماعيلية - الزارية - الباطنية - الصعبيية - التعليمية - الحشيشية - اللاحدة - وعرفت عند كتاب الغرب باسم السفاكين . ووضع لهذه الدولة نظاماً يختلف تمام الاختلاف عن النظم التي رأيناها عند الإسماعيلية النورية أو الإسماعيلية في مصر الفاطمية . وقطع الحسن بن الصباح علاقته بأئمة الإسماعيلية النورية واعتبرهم من أعدائه الألداء ، بل حمل على إزالتهم من الوجود ، فأرسل القذائيين لاغتياهم ، كما كان يقتال جميع أعدائه ، حتى ضج الناس من كثرة قتلاه ، وخاف كل واحد على حياته ، ويكفي أن أقل

هنا ما ذكره المؤرخ عماد الدين الأسفهانى فى كتابه « تاريخ دولة آل سلجوق » عن الحالة المصيبة التى أصابت المجتمع الإسلامى فى تلك الأيام وكيف كان الإنسان لا يأمن على نفسه أو ذويه من بغتات الفدائيين ، حتى إن الأخ لم يكن يثق بأخيه أو الأب بابنه ، فهو يقول : « غنابت النوايب وظهرت المعجائب ، وفرق الجمهور من بيتنا جماعة نشأوا على طباعتنا ، وكانوا معنا فى الكتب ، وأخذوا سوطاً وافرآمن الفقه والأدب ، وكان بينهم رجل من أهل الرأى سلاح فى العالم ، وكانت صناعته الكتابة ، نطق أمره حتى ظهر وقلم ، فأقام من الفتنة كل قبيلة واستولى فى مدة قريبة على حصون وقلاع مينة وبدأ فى القتل والفتك بأمر شريعة وخفيت عن الناس أحوالهم . . وأخفوا السبل وأجلوا على الأكابر الأجل وكان الواحد منهم يهجم على كثير ويعلم أنه يقتل فيقتله غيلة ، ولم يجد أحد من الملوك فى حفظ نفسه منهم حيلة » ، هذا ما قاله المؤرخ المهاد الأسفهانى الذى عاش فى أيام هلع الملوك والأمراء من الفدائيين الذين أنشأهم الحسن بن الصباح ، فمن هو الحسن بن الصباح هذا الذى أوقع العرب فى نفوس الناس إلى هذا الحد .

### الحسن بن الصباح :

ولد الحسن بن الصباح فى مدينة الرى ( وفى قول آخر فى مدينة قم بخراس ) حوالى سنة ٤٣٠ هـ فى أسرة اتخذت التشيع



على مذهب الاثنى عشرية مذهباً لها ، وكان الشيعة عامة مضطهدين  
 فاختفوا التقية وأظهروا تذهبهم بالذهب السني بين الناس حتى  
 لا يبحق بهم الأضرار ، وعلى هذا النحو فعل والد الحسن بن  
 الصباح ، إذ أظهر تسننه وأرسل ابنه الحسن إلى نيسابور لثاق  
 العلم على الإمام موفق الدين النيسابوري السني للذهب الذي عرف  
 بين الخاصة والعامة في ذلك الوقت بأن ما من أحد يتخذ عليه  
 إلا أقبلت عليه الدنيا ووفى في مستقبل حياته توفيقاً يحمد عليه ،  
 وأثناء طلب الحسن العلم في نيسابور اتخذ أصدقاء له ولكنه استطنى  
 منهم اثنين أصبح لهما شأن كبير فيما بعد هما الوزير نظام الملك  
 والشاعر النصف عمر بن الخيام ، واستطاع نظام الملك أن  
 يساعد الحسن بن الصباح فألحقه في وظيفة بديوان الكتابة في  
 بلاط الملك ملكشاه ، وسرعان ما أصبح ذا حظوة لدى السلطان  
 فترقى سريعاً في وظائف البلاط ، إلا أن ملكشاه وموظفيه  
 فطنوا إلى مطامع الحسن بن الصباح وأساليبه العنيفة التي يتبعها  
 للوصول إلى أغراضه ، ثم حدث بينه وبين صديقه نظام الملك  
 خلاف على شيء من المال فكان ذلك سبباً في طرده من بلاد  
 ملكشاه .

وبعدئذا للؤرخ القارسي علاء الدين الجويني في كتابه  
 « جهان گشاي » أنه نقل عن سيرة الحسن بن الصباح التي

كتبها من نفسه أنه قال من نشأه الأولى ومن اعتنقه الذهب  
الإسماعيلي :

« منذ طفولتي بل منذ السابعة من عمري كان جلي اهتاي  
تلقى العلوم والمعارف ، والتزود بكل ما أستطيع منها في سبيل  
توسيع مداركي ، وكنت كآبائي قد نشأت على الذهب  
الاثني عشري في التشيع ، ولم أكن أرى في غيره طريقاً للخلاص  
من آفات العالم ، ولكن حدث أن تعرفت في شباني إلى أحد  
دعاة الإسماعيلية الفاطميين ، فكنت أجاده جدالاً عنيفاً ، وأخذ  
كل واحد منا يشد بما هو عليه من عقائد مذهبية وآراء دينية ،  
إلا أن هججه الدائمة تركت عندي أثراً قوياً جداً ، ثم انفترقت  
عن الداعي قبل أن أعتنق مذهبه ، وبعد قليل أصابني مرض  
أزمنى الفزاش ، تخشيت أن تحتطفني يد اللئيم قبل أن أتلهم  
باعتناق الذهب الإسماعيلي إذ اعتزمت على اعتناقه بتأثير مناقشاتي  
مع الداعي ، ولما عوفيت وتعرفت إلى أبي نجم السراج ، رغبت  
إليه في أن يزيدني حديثاً عن مذهبه ، وأخذت أفكر تفكيراً  
عميقاً في تساليم هذا المذهب ، ثم قدر لي أن أتعرف بالداعي مؤمن ،  
وكان موقفاً إلى مدينة الري من قبل عبد الملك بن طلائش داعي  
الطامة في المراقين ( أي في المراق المعجمي والمراق العربي )  
فتوسلت إليه أن يقبل مني البيعة للخليفة الفاطمي بمصر ، وأن  
يأخذ عليّ العهد والوفاق ، فتردد الداعي ثم أجابني إلى طلبي

وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية وصرت واحداً من أتباع الإمام  
الفاطمي بمصر ، ولما وفد عبد الملك بن عطاش داعي الدعوة  
إلى الري مثلت بين يديه ، ولما وقف على آرائه واختبر استمداي ،  
عهد إلى بيت الدعوة ، وبذلك أصبحت داعياً إسماعيلياً ، ثم  
وجهني بقوله : « عليك بالوقوف على القاهرة لتتم بخدمة مولانا  
الإمام المستنصر » ولما غادر عبد الملك بن عطاش الري في طريقه  
إلى أسبهان ، كنت أنا أيضاً في طريق إلى القاهرة .

هكذا اعتنق الحسن بن الصباح مذهب الإسماعيلية ، ووجهه  
داعي الدعوة عبد الملك بن عطاش داعياً للمذهب ، بل أمره بالوقوف  
إلى القاهرة ليستق علم الدعوة من شيوخها الذين كانوا حول  
الإمام ثم لمقابلة الإمام نفسه ، وهذه المقابلة أحد أركان العقيدة  
الاسماعيلية ، بل هي التأويل الباطني للحج عندهم ، فالحج الظاهر  
هو زيارة بيت الله الحرام ، أما الحج الباطن فهو زيارة الإمام ،  
ومهما يكن من شيء فإن اختيار ابن عطاش له ليكون داعياً  
دليل على ما كان يتمتع به الحسن الصباح من صفات خلقية  
وعقلية أهله لأن يكون داعياً للمذهب ، فلم يكن من السهل أن  
يصل كل اسماعيلي إلى هذه المرتبة الروحية عندهم ، فقد وضعوا  
شروطاً خاصة لن يتولى الدعوة توافرت كلها في الحسن بن الصباح ،  
وستحدث من ذلك في الفصل الذي نقتده لشرح نظم الدعوة .

وصل الحسن بن الصباح إلى القاهرة سنة ٤٧١ هـ ، وكان

بطول الطريق يحكى نفسه أن يأخذ علوم الدعوة الإسماعيلية عن  
 المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازى الذى كان في مرتبة  
 دأى الدعوة وحجة الإمام ، وهى مرتبة لم يصل إليها فى تاريخ  
 الإسماعيلية إلا عدة أفراد فقط . ولكن المؤيد توفى قبل أن  
 يصل ابن الصباح إلى القاهرة ، ووجد ابن الصباح كتب المؤيد  
 وتلاميذه فاشتقت سلكه بهم ، ويخيل إلى أنه لم يجد من الوزير  
 فى مصر « بدر الجمالى » ما كان يؤمله من ترحيب ، بل ظهر  
 تبهم الوزير لقام ابن الصباح فى مصر ، ولا سيما أنه يهر كل من  
 اتصل بهم بحجة ذكائه وتوقد ذهنه ، وما أظهره من إخلاص  
 لإمامة المنتصر بالله واستمداده أن يضحي بنفسه فى سبيل الإمام ،  
 تغشى الوزير بدر الجمالى منه وعمل جاهداً على إخراجهم من مصر ،  
 فبدأ الوزير يدبر المؤامرات للإيقاع بابن الصباح ، فأوعز أولاً  
 إلى رجاله أن يوغروا صدر ابن الصباح حتى يغطى ، فتكون  
 عند الوزير خربة لإلقاء القبض عليه والرج به فى السجن ، ولكن  
 ابن الصباح كان حذراً أشد الحذر من مثل هذه الدسائس  
 والمؤامرات التى كانت تحاك ضده ، كما أن بعض أسدقائه نصحوه  
 بأن يضاعف حذره ، وأن ينجو بحشاشة نفسه بالحرب من دسائس  
 الوزير « بدر الجمالى » فأثر الحسن بن الصباح السلامة وهرب من  
 مصر بعد أن قضى بها زهاء عام ونصف عام فقط ، لم يقابل إبله  
 خلالها إلا مرة واحدة فقط ، وفى هذه القابلة الوحيدة عرف أن

إمامه المستنصر نص على أن يكون ابنه زارر إماماً من بعده .  
 تنقل الحسن بن الصباح بعد أن ترك مصر في بلاد الشام  
 والعراق وخوزستان ويزد ، وكان يدعو للمذهب الاسماعيلي في كل  
 بلد زل به ، فاستجاب له عدد كبير من الخلق . وكان يفكر  
 طول وقته في طريقة يخلص بها إمامه المستنصر بالله الفاطمي مما  
 كان يعانيه من تقلب وزيره بدر الجمالي عليه واستئثاره بالسلطة  
 من دونه ، كان ابن الصباح يريد الانتقام لإمامه من هذا الوزير  
 والانتقام لنفسه أيضاً من هذا الرجل الذي كاد له وتآمر عليه حتى  
 اضطره إلى الهروب من مصر ، وهداه تفكيره إلى ضرورة القيام  
 بعمل حاسم سريع وهو تأسيس دولة في فارس ينتقل إليها الإمام  
 المستنصر بالله ويتخذها مركزاً له وللدعوة الاسماعيلية بدلا من  
 مصر ، فأعد لشروجه هذا عدته ، ورسم الخطوات التي يجب أن  
 تتبع لتحقيقه ، فأكثر من اجتذاب الجماهير المتعطشة إلى العدل  
 والتي ضاقت بها الحياة من طغيان حكم السلجوقيين الأتراك ،  
 واختار عدداً من الدعاة ذوي اللواجب القفة في الجهاد وأرسلهم  
 إلى القلاع والحصون التي في جنوب بحر قزوين ، وتمكن هؤلاء  
 الدعاة من أن يدخلوا عدداً كبيراً من سكان هذه القلاع والحصون  
 في الدعوة الاسماعيلية ولا سيما طبقة الجند ، وكان ممن استجاب له  
 جنود قلعة آلموت ( ومعناها عش القمل ) وهي قلعة منيعة  
 على جبل وحولها وحماد بحيث لا يبلغها إلا بشق الأنفس ،

ولناحية هذه القلعة ذكر ابن الصباح جهوده لامتلاكها ، فاستخدم  
 هنصر الدعوة أولاً للوصول إلى هدفه ، فلما نجح دعاته في تحويل  
 جنود القلعة إلى الذهب الاسماعيلي ، أوعز إلى دعاته أن يوجهوا  
 إليه دعوة لزيارتهم ، فوجهت إليه الدعوة بين مظاهر الفرح ،  
 وذهب ابن الصباح إلى القلعة متكرراً متحلاً باسمها غير اسمه ،  
 ولم يعرفه أحد من أتباعه في القلعة سوى الدعاة فقط ، أما غير  
 الدعاة فكان يتظاهر أمامهم بأنه نائب عن ابن الصباح جاء  
 ليتفقد أحوالهم قبل أن يزورهم ابن الصباح . قضى ابن الصباح عدة  
 أيام في تنكره هذا وهو يدرس القلعة دراسة دقيقة ويبين معالمها ،  
 ويفحص حصونها وأحوال الناس بها ، فلما عرف كل ما كان  
 يريد أظهر شخصيته ، وطلب من حاكم القلعة أن يسلمها له  
 نظير مبلغ معين من المال يتسلمه من حاكم مدينة الدامغان (بجنوبي  
 قزوين) ، وكان حاكم الدامغان ممن دخل للذهب الاسماعيلي سرّاً  
 وكان يأتمر بأوامر الداعي ابن الصباح سرّاً بالرغم من أنه كان من  
 جمال السلاجوقيين ، فلم يستطع حاكم قلعة آلموت للقاومة عندما  
 علم أن الجنود الذين كان يعتمد عليهم أصبحوا طوعاً وإرادة ابن  
 الصباح ، ولذلك سلم القلعة سنة ٤٨٣ هـ ( ١٠٩٠ م ) ودعا فيها  
 ابن الصباح باسم المستنصر بالله إمام الاسماعيليه في مصر ، وبذلك  
 دخلت الاسماعيليه في فارس في دور جديد منفا استطاع ابن الصباح  
 أن يستولى على قلعة آلموت ، إذ عمل على توسيع رقعة دولته

الجديدة ، وقد ساعده الحظ إذ مات ملك شاه السلطان السلجوقي  
عدو الاسماعيلية اللدود بعد الاستيلاء على قلعة آلموت بستين ،  
ومنعت أملاك السلجوقيين من بعده ، فضعفوا وهان أمرهم في  
الوقت الذي اشتدت فيه شوكة الاسماعيلية في فارس ، واستطاع  
ابن الصباح أن يضم عدة حصون وقلاع إلى دولته ، لتحقيق بذلك  
الشرط الأول من حله ، وهو تأسيس دولة إسماعيلية في فارس ،  
وأراد أن يحقق الشرط الثاني من هذا الحلم وهو استدعاء الإمام  
السننصر ليتولى أمور الدولة في فارس ، ولكن جاءت الأخبار  
بموت السننصر سنة ٤٨٧ هـ والدعاء في مصر بإمامة المستنلي بن  
السننصر من دون صاحب الحق الشرعي في الإمامة وهو زرار بن  
السننصر ، فثار الحسن بن الصباح وأبى الاعتراف بالمستنلي ،  
وخطب باسم زرار ، وأرسل بعض الفدائيين إلى مصر لإحضار  
زرار أو أحد أبنائه إلى آلموت ، ولكن الوزير في مصر قتل  
زراراً وابنه ، واستطاع الفدائيون أن ينتصحبوا ابناً آخر لزرار  
إلى آلموت ، وهناك أخفاه الحسن بن الصباح حتى تأتى فرصة  
مناسبة بظلمه فيها ، وبقتل زرار أصبح الحسن بن الصباح صاحب  
الأمر في الدعوة الاسماعيلية الجديدة وهي الدعوة الزرارية ، دون  
أن يدعى الإمامة وإن كان النقل اللدبر واليد القمالة لجميع الحوادث  
التي كانت تجري في العالم الإسلامي في ذلك العصر ، اعتدوا من  
مقابلة الناس وعكف على القراءة والكتابة ، ومن منزله كانت

يُخرج الأوامر والرسائل إلى دجانه وإلى الذين اختارهم لتنفيذ سياسته دون أن يقابلهم ، حتى قيل إنه لم يشاهد يخرج منزله فيه آلموت سوى مرتين فقط ، وهنا أذكر أحد أوامره مما كان له أثر كبير في أن تنسج حوله قصص خيالية طريفة ومنها ما ظهر على الشاشة البيضاء ، قد أسدر ابن الصباح أسراً بأن تزرع سفوح الجبل الذي بأعلاه قلعة آلموت ، فكان منظر الجبل بعد أن كسته الخضرة وأثبتت فيه الزهور سيّاً في هذه القصة التي رواها الرحالة ماركو بولو الهندى في القرن الثالث عشر الميلادى ، وهى قصة « جنة شيخ الجبل » . فقد ذهب ماركو بولو إلى أن « شيخ الجبل » — أى الحسن بن الصباح — أنشأ في واد يقع بين جبلين حديقة فيها فسحة غرس فيها جميع أنواع الزهور وأشجار الفاكهة ، وجعل فيها مقصورات ذات قباب بديعة الشكل وزخرفها بنقوش ذهبية ، وجعل في هذه الحديقة أنهاراً من خر وأخرى من عسل وثلاثة من لبن ، وأقام فيها الحور العين والولدان المخلدين ، والجويع يلهون بالوسيقى والنساء والرقص ، وذلك كله لقتنة أتباعه بأن هذه هى الجنة التى وعد الله بها التقين ، وأن باستطاعة شيخ الجبل أن يدخل جنته هذه من يشاء ، ويحرم منها من يشاء . ولذلك تقاضى في طاعته واستمال أوامره ، ولم يكن يسمح لأحد بدخولها إلا طليقة الندائين فقط . هذه القصة كانت مثاراً لأحدث كثيرة من الحسن بن الصباح وجنته ، كل كانت اللهمة لعدد كبير من



كتاب القصة للكتابة في هذا الموضوع . وسبق القصة عدد من أعداء الحسن بن الصباح ، ولعل السبب الذي من أجله سبق الناس هذه القصة الخرافية وعادوا إثبات صحتها لأن شك فيها هو نظام القذائين الذي أوجده الحسن بن الصباح لأول مرة في التاريخ ؛ ففي زيارة الحسن بن الصباح لمرشاه في القصر الصغير الفاطمي عدة حجرات كان يقيم بها شبان أحدث السن هم أبناء الأمراء وكبار رجال الدولة الفاطمية ، جمعهم الإمام الفاطمي في قصره ليربهم تربية خاصة حتى يصطنعهم في حكم دولته بعد أن ينفوا سن الرجال ، وكان اعتماد الإمام الفاطمي في الحكم على هؤلاء الذين نشأوا في قصره تحت رعايته وتعلموا فنون الفروسية والسياسة والدعاية في القصر الفاطمي على أيدي أخصائين مهرة في هذه الفنون يشراف الإمام نفسه ، رأى ابن الصباح هؤلاء الشبان فأعجبهم نظامهم وتربيتهم ، وعرف بذكائه ودهائه كيف يقتبس نفس نظامهم في تدريب الشباب على أعمال تحقق أهدافه ويستعين بهم في القضاء على أعدائه ، فلما تم له استلاك قلعة آلوت جمع إليه طائفة سالحة من الأطفال من أبناء الدعاة والمستجيبين المروفين بتربيتهم للإسماعيلية واستمدادهم للتضحية في سبيل مذهبهم ، وأخذ في تدريب هؤلاء الأطفال على الطاعة السلياء والإعانة بكل ما يقوله لهم ، ثم بث فيهم حب التضحية في سبيل العقيدة والإمام ولما اشتد ساعدتهم أخذ يدرّبهم على استعمال الأسلحة المروفة في تلك الأيام ولا سيما

«التحاجر» ، أضف إلى ذلك كله أنه كان يعلمهم كيف يخفون أمر أنفسهم وأمر من معهم ، بحيث لا يبوح أحد بسر الجماعة التي ينتمى إليها ، فإذا قبض عليه أحد الأعداء فلا يبوح بكلمة واحدة ، بل يجب عليه أن يقتل نفسه قبل أن يضطر إلى أن يتفوه بكلمة واحدة ؛ وكان ابن الصباح صارما في تنشئة هؤلاء الأطفال على هذا النحو ، قاسياً عليهم أشد القسوة حتى استطاع أن ينجح في إعداد طائفة من الفدائيين أفزعوا العالم الإسلامي كله ، وجماعة الصليبيين أيضاً حتى إن الكتاب الغربيين أطلقوا على الاسمايلية التزارية اسم « السفاكين » لما قام به الفدائيون إبان الحروب الصليبية .

أما المؤرخون من الشرقيين ( الفرس والعرب ) فاطلقوا على هذه الفرقة عدة أسماء منها « الحشيشيين » ، وقالوا إن السبب في هذا الاسم أن الحسن بن الصباح كان يخذل الفدائيين بمادة « الحشيشة » وأنه عودهم على تناول هذه المادة بحيث جعلهم مدمنين ولا يستطيعون الحياة بدونها ، فكان يطلب منهم القيام بهذه الأعمال الخطيرة نظير حصولهم على الحشيشة ، فإذا نفذوا أوامره أعطاهم الحشيشة وأدخلهم جنته ، وكل هذه الأقوال بخرافية فالها أعداؤهم عنهم ، والحقيقة تخالف ذلك مخالقة تامة ، فمن المروء أن مدمن الحشيشة جبان لا يستطيع أن يقوم بالأعمال الخطيرة التي كان يقوم بها الفدائيون من قتل الأعداء أو قتل

نفسه إنا قتل في مهته ، والحشيشة تشل التفكير وتخدع العقل  
وتجعل الذهن يهذى ويروح بأشياء وأسرار ربما حلول أن  
يكنهما ، بينا القدائي الاسماعيل كان يمتاز بالنظرة والكياسة  
والدقة التامة في كل أعماله ونصرفاته ، وتقدير موقفه تقديراً يحقق  
له النجاح مع شدة الحرص على الكتمان ، وهذا كله لا يتفق مع  
الإيمان على الحشيشة ، مما جعل الكتاب والمؤرخين المحدثين  
لا يصدقون قصة الحشيشة كالم يصدقوا قصة الجنة ، بل كتبوا  
الفصول الطويلة عن القدائيين والدور التي قاموا به ضد  
السلجوقيين وشد الاسماعيلية الترية في مصر ، كانوا يتناحرون كل  
من تحدة نفسه بداء الاسماعيلية الشرقية ، ولا سيما الملوك  
والأمراء والوزراء ، ويقال إن أول من ختاله القدائيون هو الوزير  
السلجوقي نظام الملك — زميل الحسن بن الصباح في الدراسة —  
الذي كان يدير الحملات التأديبية التي كان يشنها السلاجقة ضد  
الاسماعيلية ، وتوالت ضربات القدائيين للأمراء السلجوقيين  
ورجال دولهم حتى شاع القدر في أرجاء البلاد ، وكثر الحديث  
عن القدائيين وأعمال البطولة التي يقومون بها ، بل كان القدائيون  
من عوامل انتشار نفوذ الإسماعيلية بين الجند والشعب ، وكان  
الأمير السلجوقي يستعين بالحسن بن الصباح للقضاء على عدوه ،  
أبو بصانع ابن الصباح حتى يسلم بمحاشاة نفسه خوفاً من بطشه ،  
ومع ذلك كله فقد كان بعض أمراء السلجوقيين يعمنون بحبوسهم

لهاربة الإسماعيلية ، فكانت جيوشهم ترد مدحورة مهزومة  
حتى اضطر السلطان سنجر السلجوقي إلى مهادنة الإسماعيلية  
وعقد صلح معهم خوفاً منهم على نفسه بعد أن استيقظ من نومه  
في الصباح فوجد خنجراً يحول فراسه ، الأمر الذي أفرعه ؛  
وعلم أنه لا حياة له مع عدائه للإسماعيلية ، ولذلك أرسل وفداً  
إلى الحسن بن الصباح ليقدر صلح معه .

ومما يروى في هذا الصدد أن وفد السلجوقيين في التفاوض  
عاد إلى السلجوقي وأخذ كل واحد منهم يقص عليه بعض  
ما أذهله من أمر زعيم الإسماعيلية وطاعة طائفته له ، من ذلك أنه  
أمر أحد أتباعه أن ينفذ خنجراً في صدره ليقتل نفسه ، فنفذ  
الفدائي هذا الأمر دون تردد ، وأنه طلب من فدائي آخر أن يلقى  
بنفسه من نافذة الحصن إلى الهاوية ، ففعل الفدائي في الحال  
ما أمر به دون خوف ولا وجل ، كل هذا وأمثلة أدخل الرعب  
في نفس السلطان السلجوقي فبادر بتقد الصلح حتى يطمئن إلى  
حياته ، وبعد هذا الصلح ساد الهدوء بعض الشيء بعد أن  
استمرت الحروب بين الإسماعيلية والسلاجقة زهاء ثلاثين سنة .  
أما عن عدائه للإسماعيلية القريبة في مصر ، فقد ذكرنا أن الحسن  
ابن الصباح لم ينس أن ينتقم لإيمانه زلزل الذي قتل بمصر ، لهذا  
أرسل الفدائيين لقتل الإمام الأمر بن المستمل الإمام الاسماعيل  
في مصر ، بل كلن الحسن بن الصباح ومن جاء بعده من « شيوخ

الجبل » سبياً في هذه المؤامرات العديدة التي دبرت بمصر في  
أواخر العصر الفاطمي مما أضعف الدولة الفاطمية الاسماعيليه  
إلى أن قوض صلاح الدين يوسف بن أيوب أركانها .

هكذا كان الحسن بن الصباح يعمل على بسط نفوذه ، ونشر  
دعوته بين قوم يضررون العداء الشديد لطائفة الاسماعيليه ،  
وإزداد عداؤهم وسخطهم على الاسماعيليه بسبب سياسة الحسن  
ابن الصباح التي كانت تقوم على الاغتيال وإراقة الدماء . وبجانب  
هذه السياسة الدمويه التي نهجها ابن الصباح تراء قد اتبع سياسة  
أخرى هي أقرب ما تكون إلى سياسة الحرب الباردة المعروفة  
أيامنا هذه ، إذ كان يرسل دعاة لناظره ومجادلة أصحاب المذاهب  
الأخرى أمام الناس ، ودعاة الاسماعيليه عرفوا منذ عهودهم الأولى  
أنهم أقلد الناس حجة وألسنهم فصاحة وأكثرهم موهبة في  
الجدال ، لأنهم مرنوا على ذلك كله ، وأهلوا له حتى أصبحوا  
ذوى كفاية في الجدل ، فاستغل الحسن بن الصباح مقدرة دعاة  
فبعث بهم إلى علماء وقتها أهل السنة والشيعة الإماميه والزيدية  
لناظرتهم أمام الجماهير ، وكان غرضه من ذلك كله تشكيك  
الجماهير فيما هم عليه من عقائد مذهبيه فوسهل بعد ذلك جذبهم  
إلى مذهب الاسماعيل ، ثم السخرية بمل العلماء والفقهاء وانتقاص  
قدرهم أمام الناس الذين اعتادوا احترامهم لملهم وأخذ أمور  
دينهم منهم ، فترتب على ذلك أن قام عدد كبير من علماء أهل

السنة والجماعة والشيعية الإمامية والزيدية بوضع كتب خاصة في  
الظن على مستندات الاسماعيلية دون أن يجرأوا على مناظرة دعاة  
الاسماعيلية ، فالإمام الغزالي وابن رزام وابن نصر الشافعي وغيرهم  
من العلماء لهم كتب في الظن على الاسماعيلية ، فانظر  
الاسماعيلية إلى وضع كتب في الرد على هؤلاء العلماء ، والحق أن  
هذه المجادلات والمناظرات مع الاسماعيلية لم تكن جديدة على  
عهد ابن الصباح ، بل كانت قديمة عرفها الاسماعيلية ودعاهم قبل  
أن يظهر الهدى بالشرب .

ولكن ابن الصباح استغل هذه التقاليد الاسماعيلية القديمة في  
حروبه ضد أعداء مذهبه حرباً هي أقرب شيء إلى ما نراه اليوم بين  
الدول من حرب باردة قوامها الدعاية والتسابق العلمي . عاش ابن  
الصباح متصوفاً زاهداً متعبداً ، فكان مثلاً للرجل المتصرف في  
العبادة مع ما كان عليه من رغبة في سفك الدماء وقتل كل من  
يخالفه ، وامتدت به الحياة وكلها ملوثة بدماء من أمر بالفتيا لهم ،  
ويظهر أنه في أيامه الأخيرة قد بلغ به أمر شرارته لسفك الدماء مبلغاً  
كبيراً لدرجة أنه قتل ولديه ، وادعى أمام أتباعه أنه قتلها غيرة  
على الدين والعقيدة ، ذهب إلى أنه قتل ابنه الأكبر لأنه اشترك  
مع آخرين في قتل شيخ مشايخ قوهستان ، وقتل ابنه الثاني لأنه  
شرب الخمر ، والعقيدة الاسماعيلية تعشد في تحريم الخمر كما نص  
القرآن الكريم ، ثم زى ابن الصباح بهجر زوجته وبقطع إلى

وحدته ، غير أنه لا وجد أنه ليس له وريث من عقبه بخلفه في حكم  
 الاسماعيليه استدعى إليه في الموت اثنين من أشد الناس إخلاصاً  
 له ولدموته وهما كيارزك وأبو علي دامي اللطاة في قزوین ، وجعل  
 وصيته إليهما من بعده أن يتولى أحدهما الزعامة الروحية للدعوة  
 ويتولى الثاني الأمور الدنيوية وقيادة القتالين ، ففصل بذلك بين  
 قيادة الدين وجعلها لأبي علي الدامي ، وبين قيادة الدنيا وجعلها  
 لكيارزك . وتوفي الحسن بن الصباح سنة ٥١٨ هـ وهو في  
 نحو التسعين من عمره ، صرف منها زهاء سبعين عاماً وهو يجد  
 ويكافح في تأسيس الدولة الاسماعيلية الشرقية التي طبعها بها  
 الطابع الذي عرفت به في التاريخ ، وجعل لها هذه الشهرة التاريخية  
 عند الشرقيين والغربيين ، واستطاع أن يمتلك عدداً كبيراً من  
 القلاع والحصون في فارس وأن ينشر دعوته بين عدد كبير من الناس .  
 كان لموت الحسن بن الصباح صدى بعيد الأثر في علاقة  
 الاسماعيليه بالسلاجوقيين ، الذين كانت تربطهم بأبي الصباح مساعدة  
 صالح ، فأراد السلاجوقيون أن يتفهموا لأنفسهم من الاسماعيليه  
 بعد موت زعيمهم ومؤسس دولتهم في فارس ، وخيل إلى  
 السلاجوقيين أنه من السهل عليهم أن يبدوا الاسماعيليه وأن يقضوا  
 عليها قضاء تاماً ، فبدأوا بحربهم بعد أن جموا حولهم الناقين  
 على الاسماعيليه ، واستمرت الحرب ولكنها كانت سجالاً بين  
 الطائفتين المتحاربتين ، غير أن الاسماعيليه أكثروا من القتل والنهب

وكانت غاراتهم على القرى والبلدان القريبة من حصونهم وسلب كل ما كانوا يجدونه في طريقهم حتى ضج الناس منهم ، الأمر الذي أدى بالملك سنجر إلى أن يحاول محاربة الاسماعيلية في قلعة آلموت نفسها سنة ٥٢٩ هـ ، فهاجمهم واستطاع أن يقتل منهم عدداً كبيراً قدر بنحو عشرة آلاف شخص ، ولكنه لم يستطع أن يستولى على القلعة . وانتمت الاسماعيلية لهذه الذبحة انتقاماً مرعباً حقاً ، إذ فتكوا بكل من استطاعوا اغتياله من أعدائهم كباراً وصغاراً ، وصارت السنون وهم يقتلون وينهبون ، حتى امتدت أيديهم بالخناجر إلى الخليفة العباسي في بغداد فقتلوه ، وفرضوا الضرائب على البلاد التي يجوز قلاعهم ، كما فرضوا الضرائب على قوافل التجارة بحجة حمايتها ، والويل لكل من يرفض لهم طلباً ، فكان مصيره القتل ونهب أمواله ، فأوقعوا الرعب في نفوس الناس الذين اضطروا إلى الخضوع لأوامرهم وتلبية طلباتهم .

في ظل هذه الدولة التي أسسها الحسن بن الصباح عاش أئمة الاسماعيلية من نسل زرار بن السقنصر الفاطمي ، هكذا قال الاسماعيلية الشرقية ، غير أن هؤلاء الأئمة كانوا في ستر تام ، فلم يعرف أحد عنهم شيئاً ، ولم يذكر المؤرخون أسماءهم ، بل لم يشر إليهم أحد . وكان الذين يحكون طائفة الاسماعيلية من آلموت يقولون عن أنفسهم إنهم دعاة الإمام ، وقرأ عن الحسن



الثاني بن محمد الذي تولى الأمر بالموت سنة ٥٥٨ هـ أنه يذيع بين الطائفة الاسماعيلية أنه تلقى رسالة من الإمام جاء فيها « إن الحسن ابن محمد بن كيا بزرگ إنما هو خليفتنا وداعيتنا وحجتنا ، فلي جميع من هم على عقيدتنا أن يطعموه في الأمور الأخروية والدنيوية وأن يأتمروا بأوامره ، ويستبروا كلامه من وحى الله وأن لا يخالفوا له أسراً ، بل يتقيدوا بها ويسلموا بها كما لو كانت من لدنا » .

وبعد أن قرئ هذا السجل على الناس بالمسجد ، خطبهم الحسن الثاني وأمرهم بطرح جميع التكاليف الدينية ، والامتناع عن إقامة الفرائض الإسلامية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » فالإمام هو المسئول الأول عن أتباعه ، وهو الذي يتحمل بدلم الحساب يوم القيامة ، إن أطاعوه إطاعة تامة واعتقدوا بإمامته على هذا النحو . وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية الشرقية في دور جديد من أدوار عقائد هذه الطائفة وتقاليدها ، وهو دور عدم القيام بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج . . . الخ ، وعدم التقيد بما كان عند الاسماعيلية في دور الظهور الأول أو في العصر التاطلي من الاعتقاد بالظاهر والباطن أى العبادة العملية والعبادة العلمية . وقد قبل الاسماعيلية الشرقية هذه الآراء الجديدة لأن الإمام أمرهم بطاعة الحسن بن محمد بن كيا بزرگ ، ثم لأن النفس البشرية ترحب دائماً بما يجردها من قيود التقاليد والأحكام الدينية كانت

أم غير دينية ، وثالثاً لأن الإمام سيتحمل الحساب عنهم يوم  
القيامة . لهذا رجب الاسماعيلية بهذه الآراء الجديدة التي أضافها  
الحسن بن محمد بن كيا بزرگ سنة ٥٥٨ هـ . ثم نرى الحسن هنا  
يتخذ خطوة أخرى في ١٧ رمضان سنة ٥٥٩ هـ ، إذ أعلن  
الحسن هنا نفسه بأنه هو الإمام من نسل زيار بن المستنصر بالله  
الفاطمي ، وأصبح اسمه لا يذكر إلا مقروناً بقولهم : « على ذكره  
السلام » وبذلك أصبح حكام آل موت من الحسن الثاني (على ذكره  
السلام) والذين جاءوا بعده من سلسلة النسب الفاطمية ، فزاد  
الناس حوله اتفاقاً ، وفرحاً بظهوره بعد السمر ، وطاعة له لأنه  
للمشول عنهم أمام الله . فطاعة الإمام الآن أوجب من أي  
وقت مضى في تاريخهم . على أن الحسن الثالث جلال الدين  
— حفيد الحسن الثاني — الذي تولى الأمر سنة ٦٠٧ هـ أمر  
بإعادة القيام بالقرائن الدينية كما كانت قبل ظهور جده ، وأمر  
ببناء المساجد وإقامة الأذان للصلاة وقرب إليه الفقهاء والقراء  
وأعقد عليهم الهدايا والأموال ، بل خطا خطوات أوسع من  
ذلك ، إذ راسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وأرسل إلى  
السلطان السلجوقي وخوارزم شاه وإلى غيرهما من الملوك والأمراء  
بأن يؤكد لهم صدق جودته إلى التعاليم الإسلامية والقيام بشعائر الدين  
وفرائضه ، ففرحت بذلك البلاد الإسلامية ، وأخذ كل ملك يخضع  
على الحسن الثالث الألقاب ، ومن هذه الألقاب « العلم الجديد » ،

ويظهر أن فرح المسلمين بعودته إلى التعاليم الإسلامية كان له أثره في نفس الحسن الثالث ، إذ غلب في إظهار رجوعه إلى الحق فانهز فرصة زبارة بعض وفود المسلمين له فأحرق أمامهم كتب الحسن ابن الصباح وكتب الاسماعيلية السرية ، وطمع في الحسن بن الصباح وكل من تولى أمر الاسماعيلية بسده ورماه جميعا بالكفر والإلحاد ، ثم بث أمه وزوجه لأداء فريضة الحج ، وأمر ببناء التكايا على طول الطريق إلى مكة المكرمة برسم الفقراء من المسلمين وخاصة للتصوفة ، وعقد معاهدات الصلح والتحالف مع أعدائه من الملوك ، وبذلك كله اقنع المسلمون بأنه أعاد الاسماعيلية إلى الوحدة الإسلامية الكبرى التي ميزتها الفرق المختلفة . ولما أن تسال عن السبب الذي من أجله خالف الحسن الثالث عن رأى أبيه وجده ، هناك رأى يقول إن الحسن الثالث جلال الدين كثيرا ما كان يعلن استنكاره الشديد لسياسة أبيه وجده في حياة أبيه ، وكثيرا ما قامت المناقشات العنيفة بينه وبين أبيه بسبب العقيدة الدينية ، وأن هذه المناقشات خرجت أحيانا إلى طور السباب وكيل الاتهام ، حتى إن أباهم بأن يخلمه من ولاية العهد في أخريات أيامه لولا أنه مات قبل أن يتمكن من ذلك ، فلما تولى الحسن الثالث الأمر أعاد الفرائض والشرائع إلى ما كانت عليه . وربما أستطيع أن أضيف إلى هذا الزأى أن الطائفة الاسماعيلية خسرت في العالم الإسلامى أجمع الحمية والاحترام ،

فلحكاهم الدين تولوا أمر الاسماعيليه قبل الحسن الثاني ، سواء  
أكلوا في دور الظهور الأول بالغرب أو في العصر الفاطمي  
بالقاهرة أو عصر آلوت ، كانوا يذبحون أنهم يدافعون عن الدين  
وعن فرائضه ، وكان أعدائهم يرمونهم بالزيف عن الدين ، فينبغي  
الدقة لدحض هذه الأقاويل ويثبتون للناس أن الأئمة الاسماعيليه  
إتعا يعملون على تثبيت قواعد الدين التي أتى بها جدهم محمد عليه  
الصلاة والسلام ، أسوة بما فعله أبوه علي بن أبي طالب ، فلما  
أظهر الحسن الثاني آراءه الجديدة بطرح الفرائض وعدم إقامة  
الشعائر فطن المسلمون إلى أن الاسماعيليه أدياء في دقاعهم عن  
الدين وأنهم يستحقون لقب الباطنية ، لأنهم يظهرن غير  
ما يظنون ، فأراد جلال الدين أن يستعيد ثقة المسلمين في  
الاسماعيليه ، ويتقرب بذلك إلى ملوك المسلمين ليعترفوا به ويغفلوا  
عليه الألقاب التي تورع أسلافه عنها ، ولستطيع أن تقارن حالة  
الاسماعيليه الشرقيه هذه بجماعة اليسوعيين الذين أحسوا بنصب  
البابا ورغبته في حل منظمتهم ، وشعروا بسخط الحكومات  
المختلفة على سياستهم ، فاضطروا إلى العودة إلى طاعة البابا والتشكر  
لكرائم التي ساروا عليها واتبعوا التقاليد الكاثوليكيه فعاد إليهم  
غفرانهم وهيبتهم . كذلك كان الأمر مع الاسماعيليه الشرقيه في  
عهد جلال الدين الحسن الثالث . ولكن الحسن الثالث لم يصر  
طويلا إذ طعنه أحد القداميين الذين رأوه يخرج على تعاليم أبيه

وجده ، وأراد التخلص من آرائه الدينية ، ومن الشرائع التي طلب من أتباعه أن يعودوا إليها بعد أن تحرروا منها ، ومن مهادة الخصوم ، ومساندة الخليفة العباسي ينداد ، وهي كلها أمور أخصيت بعض أتباعه فتآمروا على قتله ، وبذلك رجع الاسماعيليه الشرقيه بعد موته إلى آراء أبيه وجده ، وسار أصحاب آلموت على هذه السياسة في الناحية الدينية ، وعلى إيقاد الفتائين إلى الأمام. والملك لاغتيالهم ، حتى ظهرت جيوش الفول في آسيا واجتاحت القلاع والحصون التي في طريقها ، وكانت قلاع الاسماعيليه مما اجتاحته جيوش الفول . وفي سنة ٦٥١ هـ ( ١٢٥٤ م ) خرج هولاكو بحبشه لنزول حصون الاسماعيليه ، وأرسل إلى ملوك المسلمين المجاورين لقلاع الاسماعيليه سجيلا جاء فيه :

« نحن إنما حضرنا بأمر الخان لتدك حصون الملاحه ، فإذا رأيتم أن تحضروا بأنفسكم إلينا ، وتلقوا ما كرمكم بما كرنا ، فإننا سنحفظ عليكم بلادكم ، وسنموض عليكم مساوتكم هذه بالإنعامات اللسكية ، أما إذا ترددتم وتخنتم فإننا سأنقض عليكم فور انتهاء من أمر هذه الطائفة الضالة الاسماعيليه » . ومن الطبيعي أن يستجيب ملوك المسلمين المجاورين للاسماعيليه لنداء هولاكو إما خوفاً من بطشه وتهديده وإما رغبة منهم للتخلص من الفتائين الاسماعيليه ، وهكذا سارت

جموع الفول ومعهم جيوش من المسلمين لمحاربة الاسماعيلية في  
 حصونهم ، وسرعان ما أذهن ركن الدين خورشاه إمام الاسماعيلية  
 القائد هولاءكو الذي دخل قلعة آلموت سنة ٦٥٤ هـ ، كما استول  
 على جميع قلاع وحصون الاسماعيلية ، وكانت تبلغ الأربعين  
 حصناً ، دكت كلها إلى الأرض بعد أن هرب منها سكانها فاركب  
 خزياتهم وكنوزهم نهباً لجيش هولاءكو الفول ، ثم أخذ الفول  
 بعد ذلك في تتبع الاسماعيلية فكانوا يقتلون كل اسماعيلي يابلونه ،  
 حتى لم ينج من الاسماعيلية سوى الأطفال ، وشردوا في البلاد  
 مصطفيين التقي والسرخيفة الوقوع في أيدي الفول وحفظاً على  
 حياتهم ، وقتل ركن الدين خورشاه آخر الأئمة الاسماعيلية الزارية  
 في آلموت ، ولكنه قبل مقتله استطاع أن يخفي ابنه شمس الدين  
 محمد فعرب هذا منكرأ ، إلى جهة ما يجنوب القوقاز حيث عاش  
 هو وخلفاؤه مستترين منكرين على هيئة تجار وأصحاب أراضي  
 زراعية ، ثم انتقلوا من مكانهم إلى قرية كبيرة اسمها « أنجودا »  
 وهي تقع على الطريق القديم الذي يصل بين إسفهان وهدان ،  
 أي على بعد حوالي عشرين ميلاً من مدينة أراك الحالية ، وهناك في  
 هذه القرية قضى شمس الدين محمد بن ركن الدين خورشاه بقية  
 حياته إلى أن مات في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة .  
 وقد واجهت الطائفة الاسماعيلية الشرقية أزمة عنيفة بسبب  
 النزاع على تولي الإمامة بعد شمس الدين محمد ، ففريق من الاسماعيلية

الشردين نادوا بإمامة محمد شاه ، واعترفوا به وإمامة الأئمة من  
نسله حتى انقطعت سلسلة الأئمة من نسله في منتصف القرون  
العاشرة الهجرية .

وآخر إمام من أئمة هذا الفرع هو طاهر شاه الثالث العرف  
بالدكني الذي هاجر إلى الهند وتوفي هناك حوالي سنة ٩٥٠ هـ ،  
ومعه انقطع هذا الفرع بالرغم من وجود أتباع له إلى الآن ،  
وعامة في مصياف والقدموس بسورية ، وهم أي اسماعيلية مصياف  
والقدموس الآن في حيرة من أمر الإمام الذي يتبعونه من نسل  
طاهر شاه دكني هذا ، وأرى من الحق على أن أذكر أن  
اسماعيلية مصياف والقدموس لا يفترون عن إخوانهم المسلمين  
في جميع بلاد العالم في شيء ، فهم يشابهون في إقامة فرائض الدين  
وشعاره أسوة بإخوانهم المسلمين ، ويحفظون القرآن الكريم  
ويعملون بهديه ، ويقتدون بسنة الرسول الكريم ويحفظون  
أحاديثه ، بل هم متعصبون للإسلام والروية . ولا خلاف بينهم  
وبين أهل السنة إلا أنهم يسمون أنفسهم الاسماعيلية .

أما الفرع الثاني من الطائفة الاسماعيلية الشرقية فقد اعتقدوا  
إمامة قاسم شاه ، وهؤلاء هم العدد الأكبر من هذه الطائفة .  
وهنا يجب أن أشير إلى أن الاسماعيلية الشرقية اضطرت إلى  
الهجرة من حصونها وقلاعها ، اضطراً أُلهم ما حل بهم من  
أهوال ومذابح على نحو ما ذكرناه ، وكانت هذه الهجرة إلى إقليم

بادخشان ( أعلى نهر جيحون ) وإلى الهند على وجه الخصوص .  
والهند كانت دائماً مأوى اللاجئين من الفرس ، لجأ إليها عدد من  
الزردشتيين عندما قامت جيوش العرب باجتياح بلاد فارس ،  
وكون الزردشتيون في الهند جالية لا تزال إلى يومنا هذا يحافظون  
على تقاليدهم وشعائرهم الدينية ، وهم يعرفون الآن بالبارسيين .  
وهذا ما حدث أيضاً للإسماعيلية الشرقية عندما وقعت أملاكهم  
قريبة في أيدي المتول وخلفوا على أنفسهم القتل فأنجسوا إلى  
الهجرة إلى الهند ، وفي الهند كان يوجد عدد من الإسماعيلية ،  
اعتنقوا الذهب على أيدي دعاة المين ، واستطاعوا أن يؤسسوا  
لأنفسهم جاليات إسماعيلية اتخذت مدينة مُلْتان مركزاً لها ،  
وكان للإسماعيلية الهند شيء من السيطرة على إقليم السند كله ،  
وظلوا كذلك مدة طويلة دون أن يكونوا لأنفسهم دولة أو إمارة  
هناك ، بل اكتفوا بما لهم من نفوذ وتأثير على ملوك الإقليم  
وأسمائه وما لهم من سيطرة اقتصادية في البلاد ، حتى قام محمد  
النوري بجيش قوامه من الأفغانيين والآراك بفرض بلاد الهند ،  
فاتصر على أسراء راجپوت في موقعة تاخيسار سنة ٥٧٦ هـ  
وامتدت فتوحاته إلى أن احتل أجير ودلهي وبنارس ، تخضع له  
وادي نهر الكنج كله حتى إقليم البنغال ، وأسس في الهند حكماً  
إسلامياً ونشر الدين الإسلامي في الهند ، كانت هذه الفتوحات  
الثورية في الهند ذات أثر كبير على الإسماعيلية هناك ، إذ قام



التوردي بالبحث عن الاسماعيلية وقتلهم ، فانظر الاسماعيلية إلى  
 النقية وشرذوا داخل بلاد الهند الواقعة ، وتشكروا في زى  
 الهندوكيين ، وبعد هذه الذبحة بمائة عام تقريباً ، وفدت على الهند  
 موجات الاسماعيلية المهاجرين الذين فروا من الفول ، وبطبيعة  
 الحال اتصل زعماء المهاجرين بالاسماعيلية في الهند الذين كانوا  
 متأثرين بالمقائد والتقاليد الهندوكية ، فكان من نتيجة هذا  
 الاتصال أن كوّن الاسماعيلية الشرقية في الهند عقائد جديدة هي  
 مزيج من عقائد الاسماعيلية والمقائد الهندوكية والتصوف الفارسي  
 والهندي . وهنا يجب أن أشير إلى حقيقة هامة . وهي أن عدداً  
 كبيراً من شيوخ المتصوفة في فارس والهند الذين يطلق عليهم  
 لقب ( بير ) كانوا مستقلين استقلالاً ذاتياً — إن صح هذا  
 التعبير — بكل منهم منهجة وطريقته الصوفية ، ومع ذلك كله  
 كانوا متأثرين جميعاً تأثراً تاماً بعقائد الاسماعيلية ، بل منهم من كان  
 تحت سلطان الأئمة الاسماعيلية ، وحدث أن انشق فريق من هؤلاء  
 المتصوفة الاسماعيلية بزعماء إمام شاه في بداية القرن السادس  
 الهجري ، وكونوا طائفة جديدة لا تزال تعرف إلى اليوم باسم  
 طائفة السابائات أي طائفة طريق الحور ، ولا يزال أتباع هذه  
 الطائفة يعيشون إلى اليوم في ولاية جوجرات وفي خندش بالهند .  
 وهم يذهبون إلى أن شمس التبريزي وجلال الدين الرومي الصوفيين  
 اللذين كانا من زعماء مذهبهم ولهماك يردون أشعارهما بعد أن

ترجمت إلى اللغة الجوجزانية . أما بقية الاسماعيلية الشرقية في الهند فاستمروا على ولائهم لإمامة الأئمة من نسل قاسم شاه ، وتفرقوا في أنحاء الهند ، ولم يبق في ملتان والبن التي تجاورها سوى عدد قليل احترقوا سياغة المذهب ومهروا في هذه الصناعة حتى عرفوا « بالسار » أي الصائغة .

أما في أقاليم الهند الأخرى فقد اشتغل الاسماعيلية الشرقية بالتجارة مثل الاسماعيلية البهرة ، ولذلك تفرقوا في المراكز التجارية الهامة في آسيا ومنها إلى إفريقيا الشرقية والجنوبية ، ولا سيما في عهد إمامهم محمد الحسيني أما خلفه الشوق في أغسطس سنة ١٩٥٧ م الذي سنتحدث عنه في فصل خاص .

## حكام وأئمة الاسماعيلية الشرقية في آلوت

- ١ - الحسن بن الصباح : توفى سنة ١١٢٤ م .
- ٢ - كيايزرك أميد : توفى سنة ١١٣٨ م .
- ٣ - محمد بن كيايزرك أميد : توفى سنة ١١٦٢ م .
- ٤ - الحسن الثاني بن محمد : توفى سنة ١١٦٦ م .
- ٥ - محمد الثاني بن الحسن الثاني : توفى سنة ١٢١٠ م .
- ٦ - الحسن الثالث بن محمد الثاني : توفى سنة ١٢٢١ م .
- ٧ - محمد الثالث بن الحسن الثالث : توفى سنة ١٢٥٥ م .
- ٨ - دكن الدين خورشاه : توفى سنة ١٢٥٥ م .

## الفصل الخامس

### الاسماعيلية النزارية في الشام

في حديثنا عن دور السرد ذكرنا أن الأئمة الاسماعيلية اتخذوا مدينة سلمية بجزيرة حمص ببلاد الشام مركزاً لدعوتهم السرية ومقراً لقائهم ، ومنها كانوا يستحثون الدعوة إلى مختلف البلاد . ومعنى هذا أن بلاد الشام عرفت الدعوة الاسماعيلية في وقت مبكر إننا قيست بالبلدان الأخرى ، وفي الشام كانت حركات بعض القرامطة الذين كانوا من الاسماعيلية ثم خرجوا عليهم وحاربوهم ، فاضطر المهدي بالله صاحب دور الظهور إلى الهروب من بلاد الشام ، ولما ملك الاسماعيلية ( الفاطميون ) مصر أرسلوا جيوشهم إلى بلاد الشام واستطاعوا الاستيلاء على جزء كبير منها ونشروا هناك الدعوة الاسماعيلية ، فأصبح للأئمة الاسماعيلية الفاطميين أتباع ومستجيبون في الشام ، وقد ذكرنا أن دعاة نأليه الحاكم بأمر الله استطاعوا تحويل بعض القبائل التي كانت تدين بعبادة الاسماعيلية إلى عقيدة نأليه وهم المروغون بالدرور . وعلى إثر فرار الحسن بن الصباح من مصر إلى بلاد فارس من بلاد الشام أقام مدة في مدينة حلب حيث دعا إلى المذهب الاسماعيلي ، وأخذت الآراء

والعقائد الاسماعيلية تقوى وتنتشر في بلاد الشام كلها وانت  
للإسماعيلية فرصة لذلك ، أو كانت تضعف أمام قوة الأتراك  
والحكام وخاصة أيام سلاجقة العراق والشام ، ثم ظهرت حركة  
الصليبيين ونجحت هذه الحركة في تأسيس إمارات صليبية في بلاد  
الشام . ويرجع العامل الأول في نجاح الصليبيين إلى الخلاف الذي  
كان بين أمراء المسلمين وعدم وقوفهم جبهة واحدة أمام الخطر  
الصليبي .

كانت بلاد الشام منقسمة إلى إمارات صغيرة متنازعة فيما بينها  
متشاحنة متباغضة بسبب مطامع الأمراء وأحقادهم ، الأمر الذي  
سهل على الصليبيين المستعمرين أن ينالوا النصر تلو النصر في  
سهولة ويسر ، حتى أشيع أن الصليبيين لا يقهرون ، تخافهم  
الأمراء ، بل استعان بهم بعض الأمراء المسلمين ضد أعدائهم .  
كان الأمير رضوان أميراً على حلب ، وكان أخوه دقاق أميراً  
على دمشق وصهره ( زوج ابنته ) جناح الدولة أميراً على حمص ،  
وكانوا جميعاً ولاية من قبل السلجوقيين ، وحدث أن وفد على حلب  
شخص يعرف بالحكيم النجم أسعد ، استطاع في شيء من الدهاء  
أن يتصل بالأمير رضوان وأن يستحوذ بـته ويسطر عليه ، بحيث  
أصبح رضوان العروة بين يديه ، ووسوس الحكيم النجم أسعد إلى  
الأمير رضوان بأن أغاه وصهره يأتزان به ، وأنهما يجمعان الجيوش  
لاقتراع حلب منه ، وزيّن له أن يستمد للاقتاة جرمهما ووجده

الحكيم بمساعدة الاسماعيليه ، وفعلوا أرسل دعاة الإسماعيلية بالشام إلى الأمير رضوان يدعوهم بكل مساعدة ممكنة لقبولهم بالسلطان ، ففرّ ذلك منهم ، ودعا ظن أنهم سيولونه الإطاعة عليهم ، ولذلك باخر رضوان عملاً بتسوية الحكيم النجم أسعد إلى بناء مسجد خاص بالإسماعيلية في حلب بعد أن كانوا يعيشون فيها في ذعر وخوف من بطش السلاجقة ، وكثيراً ما أظهروا التقية سراً على أنفسهم ، فلما رأى الإسماعيلية أن الأمير رضوان يحميمهم أظهروا أنفسهم وخرجوا من سترهم وأصبح لهم عليه دالة خاصة ، ولأسباب بعد أن اتضح أن عدداً كبيراً منهم كانوا يعملون في بلاط الأمير دون أن تُعرف إسماعيليتهم . ولما قوى نفوذ الاسماعيليه في حلب على هذا النحو وفد إليها من فارس جماعات عديدة من الاسماعيليه الذين فروا من السلاجقيين ، حتى زاد عدد الاسماعيليه في حلب وازدادوا قوة ، حتى إن المؤرخ ابن الفرات قال : « وكثروا وصار لهم في حلب دار دعوة وعظم شأنهم ، وصار كل من يجنى جناية منهم منعوه وحرسوه وكانوا الملوك في أمره حتى يخلصوه ، فكثرت بذلك أتباعهم واشتهروا أمرهم واشتدّت شوكتهم ، وصار الرجل منهم يلقى الرجل من غيرهم مخبرع عنه ثيابه ولا يقدر على الامتناع منه ولا يجد ناصراً ، ويلقى أحدهم المرأة والصبي في الطريق فيقبض عليه ويذهب به إلى شاء ولا يقدر أحد على استخلاصه » . ومهما يكن من مبالغة المؤرخ

ابن القرات في وصف ما كان يأتيه الاسماعيليه في حلب فيكنى أن يعرف أنهم كثروا في حلب ، كما انضم إليهم خلق من جبل السماق ومرة النعمان والبقاع المجاورة ، ومع هذه الجوع الاسماعيليه التي أظهرت استمدادها لمساعدة رضوان ضد أخيه دقاق وصهره جناح الدولة فإن جيش رضوان منى بالهزيمة وعرب رضوان كما هرب الحكيم النجم أسعد ، فانتمت الاسماعيليه لهذه الهزيمة بأن اغتالوا جناح الدولة بالمسجد الجامع سنة ٤٩٦ هـ ، فكان أول ضحية للفتائين الاسماعيليه في بلاد الشام ، وعاد رضوان إلى حلب والناس في سخط عليه ، حتى إن القاضي المدينة أغلظ له القول لحايته للاسماعيليه واعتماده عليهم ، فكان جزاء القاضي أن اغتاله الاسماعيليه دون أن يستطيع أحد أن يمسك بالقاتل .

ثم وفد على بلاط رضوان بحلب أبو طاهر الفارس سفيرا من قبل شيخ الجبل بآلوت ، فتجمع حوله إسماعيلية المدينة ، ويظهر أنه كان مكلفا للقيام بعمل ما ، إذ ظل هذا الداعي يترقب الفرصة اللائمه ليقوم بأداء مهمته في الشام ، ولا سيما في هذا الوقت الذي كان فيه الصليبيون يهددون الإدارات الإسلاميه ، ويخضعون لهم البلد تلو الآخر ويفرضون على الأمراء المسلمين الأكاوت ، أخذ أبو طاهر الفارس يراقب الأحداث عن كثب إلى أن انتهز فرصة انزع فيها حصن قايه من أيدي الصليبيين سنة ٥٠٠ هـ . وجعل عليه الداعي أبا الفتح الذي كان يتولى أيضا

حصن سرمين بجوار حلب ، ولكن في سنة ٥٠٤ هـ استطاع الصليبيون أن يستعيدوا حصن فلبه وقتلوا واليها أبا الفتح الداعي وبعض رجاله ، وحالف الداعي أبو طاهر الفارسي فهرب من حلب إلى آلموت استعدداً لتدبير مخاطرات أخرى يقوم بها الاسماعيلية في الشام . سمع الأمير رضوان بهزيمة الاسماعيلية أمام الصليبيين ، وكان يدرك مدى ضغط الناس عليه لما ألهمهم ومشاركهم في القتل والاختيال ، فلتجمع بعد هزيمتهم وأراد أن يظهر برأته منهم ، فعمد إلى قتل عدد كبير منهم ، وطرد من حلب عدد آخر ، ولكنه ظل يستخدمهم في أغراضه ويستعين بهم في أموره على نحو ما حدثنا به التورخ ابن القرات ، ثم بلغ رضوان أن الاسماعيلية يريدون اختياله وانزعاج قلعة حلب من يديه ، فأدرك خطرهم وبدأ في اضطهادهم ولكنه توفي سنة ٥٠٧ هـ . فكان موته ابتداء مذابح عديدة قاسية ذهبت فيها أرواح عدد كبير من الاسماعيلية ، منهم أبو الفتح بن أبي طاهر الفارسي الذي قتلته الجماهير ومثلوا بجثته أشنع تمثيل وحافظوا برأسه في المدينة ، وهرب الداعي ابن دملج إلى الرقة حيث وافته منيته ، وفر الداعي إبراهيم إلى قلعة شيزر ، وأخذ أهالي حلب بالحمة ، فمن كان اسماعيلياً قتل حتى اضطرد عدد منهم إلى الخروج من البلد ، وكثرت الوشايات بينهم حتى لم يبق في حلب اسماعيلي واحد يظهر مذهبه . وقد استقم الاسماعيلية من ابن بديع الذي كان يتوب في الحكم في حلب .

كان أكثر اسماعيلية حلب الذين هربوا في هذه الحنة ياتجشون  
على شيزر حيث هرب الناصر ابراهيم ، ويظهر أنهم بعد تجمعهم  
في شيزر أرادوا الاستيلاء على قلعتها غير أنهم فشلوا فطردوا من  
الديانة بعد أن قتل منهم عدد كبير ، وعاد بعضهم إلى حلب بزعامة  
الناصر أبي محمد الذي كانت تربطه بالأمير ايلغازي صاحب ملردين  
لحون من ألوان الصداقة ، فأرسل الناصر إلى صديقه يطلب منه  
السماح للاسماعيلية بالنزول في قلعة الشريق ، فسمح لهم بذلك ،  
ثم استعاد الاسماعيلية قوتهم ، وأخذت فرق الفدائيين تقوم بما  
عهد إليها من قتل واغتيال على نطاق واسع ، ففي سنة ٥٢٠ هـ  
اغتيال قسيم الدولة آن سنقر صاحب الموصل وهو في المسجد  
الجامع ، وزادت قوة الاسماعيلية في الشام حينما وفد عليها الناصر  
بهرام الاستراباذي القارضي واستطاع أن يتصل بالأمير طنتكين  
صاحب دمشق ، وأن يتفق مع هذا الأمير على أن يتنازل  
للاسماعيلية عن قلعة بانياس (جنوب غرب دمشق) وبذلك تحقق  
حلم الاسماعيلية في الشام باستلاك قلعة منيعة يقبض منها إلى غيرها  
من القلاع والمصون ، ففي قلعة بانياس استطاع بهرام أن يجهر  
بدعوته الاسماعيلية الزارية ، وأن يأخذ العهد على المستجيبين الذين  
كثروا حوله ، وحاول أن يتوسع في استلاك القرى والبلاد  
المجاورة له ، غير أن الدروز باغتوا الاسماعيلية سنة ٥٣٢ هـ للأخذ  
بشار أحد الدروز قتله الاسماعيلية ، ففر عدد من الاسماعيلية أمام



الحدوز وقتل الداعي بهرام بعد أن عهد إلى الداعي إسماعيل القارسي ليتولى شئون الطائفة من بعده في قلعة بانياس ، وكان إسماعيل القارسي داهية في سياسته ، فاقدره فاقعة للتأثير على الناس ، فاقادله عدد كبير منهم ، واستطاع بلباقته أن يشجب إلى الأسماء ورجال الحكم فاستجابوا لمطالبه ، وكان الردغاني وزير دمشق أحد الذين خضعوا لسيطرة الداعي الإسماعيلي ، حتى إن هذا الداعي استطاع أن يولى أحد أتباعه ، وهو الداعي أبو الوفاء - وظيفة قاضي قضاء دمشق ، ولم تكن تولية أبي الوفاء على قضاء دمشق إلا حلقة من سلسلة تديرات خفية للوصول إلى فرض سلطان الاسماعيلية في دمشق وى غيرها من البلاد ، ولو تم ذلك بمخالفة الصليبيين ، ضد السلجوقيين ، فيحدثنا الأورخون أمثال ابن الفلاسى وابن القرات وابن الأثير وأبى الفداء ، أن أبا الوفاء هذا بعث سرّاً إلى بودان الثانى ملك بيت المقدس يقاومنه في تسليم دمشق إلى الصليبيين مقابل أن يستولى الاسماعيلية على مدينة صور ، وقبل ملك بيت المقدس ذلك على أن يكون تسليم دمشق في يوم الجمعة إذ يكون الأمير بورى بن طنتكين صاحب دمشق وحاشيته يؤدون الصلاة ، فينتهز قاضي القضاء هذه الفرصة فيفتح أبواب دمشق للصليبيين بعد أن يسد جميع منافذ البلد . غير أن الأمير بورى فطن إلى هذه المؤامرة ، فأسرع إلى قتل وزيره الردغاني ، وتبع الاسماعيلية في دمشق ، فذبح منهم حوالى ستائة

شخص ، وجاء الصليبيون بجيش كثيف لأخذ المدينة ولكن  
 الله ردهم عنها ، فبادوا أدراسهم سنة ٥٢٤ هـ ، ومن الطريف أن  
 الصليبيين الذين لم يستطيعوا الاستيلاء على دمشق تنفيذاً لولائهم  
 على الإسماعيلية ، عرجوا في هودتهم على قلعة بانياس التي كانت  
 في أيدي الإسماعيلية واستولوا عليها ، ولم يستردها الإسماعيلية  
 ثانية إلا سنة ٥٢٧ هـ ، وبعد ذلك يقلل اشترى الإسماعيلية حصن  
 قدسوس ، وبعد ثمان سنوات استولوا على حصن مصياف ، وبما  
 زالوا يشترى الحصون أو يستولون عليها حتى بلغ عدد حصونهم  
 الرئيسية في الشام في القرن السابع للهجرة ثمانية حصون هي القدس  
 ومصياف وبانياس والكهف والحواوي والنيقة والقلقة والزافطة ،  
 ويحاط هذه الحصون الرئيسية الثمانية بقلعة قلعة وحصون  
 أقل أهمية من هذه الحصون الرئيسية ، مما يدل على أن الإسماعيلية  
 استطاعوا رغم ما أصابهم من اضطهاد وتقتيل وتشريد أن  
 يؤسروا لهم لمبارات في بلاد الشام ، وازدادت قوة الإسماعيلية  
 بالشام بظهور شخصية فذة وداعية ذاهية في سياسته وفي مواهبه  
 وحكمته وهو « راشد الدين سنان » الذي استطاع بمقدرته وكفايته  
 أن يجمع كل إسماعيلية الشام حوله ، وأن يحمل منهم قوة متحدة  
 لهم نفوذ وسلطان مثل ما فعله الحسن بن الصباح في فارس ، بل  
 جعل لنفسه مذهباً جديداً دعا إليه غير ما كان عليه إسماعيلية الشام  
 من قبل ، فقد كان الإسماعيلية في الشام يدينون بإمامة أصحاب

قلعة آلوت في فارس ، فجاء سنان وكون مذهب « السنانية »  
 واعترفوا بإمامته ، غير أنهم طردوا بعد موته إلى طائفة الأئمة  
 بآلوت ، وبالرغم من تحولهم هذا فإن اسماعيلية الشام إلى الآن  
 يذكرون الإمام راشد الدين على أنه أعظم شخصياتهم على  
 الإطلاق .

### راشد الدين سنان :

عرفه جمهور أهل الشام بلقب « شيخ الجبل » إسماعائياً في  
 احترامه ورحمة منه في الوقت نفسه ، هو أبو الحسن سنان بن  
 سليمان بن محمد ، ولد في قرية صغيرة من قرى البصرة ، ويقال إن  
 سكان هذه القرية كانوا على مذهب التصيرية الذين يؤمنون على بن  
 أبي طالب ، ولكن أسرة سنان لم تسكن على هذه العقيدة ، بل  
 كانت على مذهب الشيعة الاثني عشرية ، ولما شب تحول هو إلى  
 مذهب الاسماعيلية على يد داعي دعاة العراقي ، الذي لمس فيه غوائل  
 النجاسة والذكاء فحب إليه الرحيل إلى آلوت ليتلقى هناك علوم  
 الدعوة الاسماعيلية ، وكان صاحب آلوت إذ ذاك هو محمد بن  
 كيازرك أميد الذي أحسن استقبال سنان وجمعه مع ولديه في  
 طلب العلم ، بل اتخذهم رفيقاً له بعد ذلك بقليل . فتوطدت صلة  
 سنان بولي العهد الحسن بن محمد ، فلما تولى الحسن ( على ذكره  
 السلام ) أمور الطائفة بآلوت أمر سناناً بالرحيل إلى الشام

ليشرق بنفسه على شئون الطائفة ، وليث الآراء الجديدة التي  
كانى بها الحسن وطلب من الاسماعيلية اتباعها ، وبخيل إلى أن  
الحسن ( على ذكره السلام ) كان يخشى ثورة اسماعيلية الشام  
ضد هذه الآراء والتعاليم الجديدة ، فأوفد إليهم الرجل الذي يركن  
إليه أكثر من أى شخص آخر لئلا يسه من خصاله وذكائه .  
وفد سنان إلى الشام سنة ٥٥٨ هـ في زى الفقراء الصوفية حتى  
لا يعرفه أحد ، وكان وهو في طريقه إلى الشام يتجنب المرور  
بالدن الكبرى أو السير في الطرق السلوكية خوفاً من أن يكتشف  
شخصيته أحد ، فأماد إلينا ذكر رحلة النابى الشهير الزيد في  
الدين هبة الله الشيرازى عند ما هرب من العباسيين إلى مصر  
سنة ٤٣٧ هـ . ووصل سنان إلى حلب ولكنه لم يستطع أن  
يمكث بها ، فغادرها إلى مكان آخر يأمن فيه على نفسه ويستطيع  
فيه أن يؤدي مهمته ، فسار إلى قلعة الكهف واتخذها مقراً له ،  
وهناك واصل قراءة كتب العقائد والفلسفة التي شغف بها شغفاً  
عظيماً ، وفي نفس الوقت كان يدرس أحوال طائفته وأحوال غيرهم  
من المسلمين في الشام وما كان من أمر جموع الصليبيين . ولا سيما  
في هذه السنوات التي ظهر فيها نور الدين محمود زنكي صاحب  
حلب . وحلول سنان أن يوحد الإمارات للتشاحنة للتباغضة في  
الشام ليواجه بمجموعهم المتحدة قوى الصليبيين وقوى الاسماعيلية  
في الوقت نفسه ، وفي شمال سورية حيث الجبال كانت تسكن بعض

الطوائف وخاصة طائفة النصيرية ، وهي كلها طوائف تكبره  
الاسماعيلية وتنهز الفرصة للاستيلاء معهم ، لذلك كله لم يشأ سنان  
أن يقوم بأي عمل في الشام قبل أن يدرس ويفكر ، وطال به  
الدرس والتفكير إلى أن اتضح له الرأي الذي سيجري على يديه ،  
زاه ينتقل من قلعة الكهف إلى قلعة مصياف ويتخذها قاعدة له ،  
وضاعف تحصيناتها وزودها بالسلاح والعتاد ، وأرسل إليه  
ورد الدين زنكي الجيوش تلو الجيوش لمحاربه دون أن يحصل على  
اتصال ما ، حتى عزم نور الدين على السير بنفسه على رأس جيش  
لمحاربة سنان ، غير أنه توفي قبل أن يحقق ما رى إليه ، وترك  
حلب وما والاها من البلدان إلى ولده الصالح إسماعيل الذي كان  
صغير السن لا يعدو الثانية عشرة من عمره ، وجاء صلاح الدين  
يوسف بن أيوب وأراد أن ينهج سياسة أستاذه نور الدين في  
الإمارات الشامية فسلر إلى حلب ، فاضطر صاحب حلب إلى أن  
يستعين بمدونه سنان الذي أسرع إلى تلبية نداءه وحول الفدائيون  
الاسماعيلية أن يتناولوا سلاح الدين ولكنهم نجوا من خناجرهم  
مهاجرين ، ويقول ابن خلكان إن صلاح الدين أرسل إلى سنان  
بتوعده ويهدده ، وأن سناناً أجاب على كتب صلاح الدين بما نفقه  
هنا بنصه لطرافته ، فقد بدأ سنان رسالته بالشعر لأنه كان ممن  
يحبون قرض الشعر ؛ فهو يقول في هذه الرسالة :

يا للرجال من أمر حال منظمه      ما ضر قط على صبي توقعه  
يا ذا النى بقرع السيف هددنا      لا قام مصرع جنبي حين تصرعه  
قام الحمام إلى البازي يهدده      واستيقظت لأسود البر أضربه  
أضى بسد فم الأنفى بأسيبه      يكفيه ما قد تلاقى منه أسيبه  
إنا منحناك ثوباً للحياة فإن      كنت الشكور والاسوف نخله

وقفنا على تفاصيله وجمله ، وعلينا ما هددنا به من قوله وجمله ،  
فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل ، وبموضة تمضق  
التماتيل ، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون « قدمناها عليهم  
وما كان لهم من ناسرين » ، أوكلحق تدحسون وللباطل  
تنصرون ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون » ، وأما  
ما صدر من قولك في قطع رأسى ، وقلمك للفلاحي من الجبال  
الرواسي ، فتلك أمانى كاذبة وخيالات غير سائبة ، فإن الجواهر  
لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأعراض ،  
كم بين قوى وضعيف ودنى ، وشريف ، وإن عدنا إلى الظواهر  
والمحسوسات وعدنا من البواطن والعقوليات فلنا أسوة  
برسول الله صلى الله وسلم في قوله « ما أودى نبي ما أوديت »  
ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته ، والحال ما حال

والأمر ما زال ، والله الحمد في الأولى والآخرة ، إذ نحن مظلومون لا قتالون ، ومنصورون لا غاسبون ، وإذا جاء الحق زهق الباطل « إن الباطل كان زهوقا » . ولقد علمت طاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يمتنونه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت . « قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، ولا يمتنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » ، وفي أمثال العامة السائرة ( أو للبط تهددون بالشط ) فهي للبلاب جلبياً وتندرج للرزاق أتواها ، فلا تظهرن عليك منك ، ولأفتينهم فيك منك ، فتسكون كالباحث عن حشفه بظلفه والجادع ما رن الله بكفه ، وما ذلك على الله بعزيز . فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالرصاد ، ومن حلك على اقتصاد ، واقرأ أول النحل وآخر صاد .

وعلى هذا النحو كثرت خطابات التهديد من الجانبين ، وأراد سلاح الدين أن يحلرب سنانياً فجزه جيشاً كثيفاً حاصر به قلعة مصياف ، ولكنه رجع عنها دون أن يفتحها ، وذلك لأن أحد عمومه طلب منه عدم التعرض للاسماعيلية حتى يتفرغ لحرب الصليبيين . ويقال إن سلاح الدين استيقظ ذات صباح وهو في معسكره فوجد خنجرأ على فراشه ومعه بطاقة من سنان تدل على أن سنانياً نفسه هو الذي زاره ووضع له الخنجر ، ولو شاء لقتل سلاح الدين دون أن يشعر به أحد . ويذهب أحد دعاة الاسماعيلية الذين حاصروا هذه الأحداث إلى أن سلاح الدين وسنانياً سارا

صديقين جميعين ، وأنها اتفاقاً سوياً على العمل ضد الصليبيين ،  
ولذلك أرسل شيخ الجبل راشد الدين سنان القناتيين لقتل  
الركيز . كوزاد الوثقراقي سنة ٥٨٨ هـ ، لأنه وجد صديقه  
صلاح الدين في ميسس الحاجة إلى المساعدة ، وحفظ صلاح الدين  
هذه اليد لصديقه ظناً قبل . عقد الصلح مع الصليبيين جعل  
للإسماعيلية بنداً خاصاً في شروط الصلح وهو عدم الترضى لقتلهم  
وأملأهم ، فكان اتفاق الإسماعيلية مع أهل السنة من أسباب  
انتصارات العرب على الصليبيين في حروب صلاح الدين الأيوبي ،  
ويقول الإسماعيلية في الشام إن سناناً لم يشأ أن يقتل صلاح الدين  
لأنه كان يعلم من قرآن السكواكب ( التنجيم ) أنه يموت في نفس  
السنة التي يموت فيها صلاح الدين ، ومن عجيب أن يتحقق ذلك .  
لعل أهم عمل قام به راشد الدين سنان هو أنه استطاع أن  
يجمع كل إسماعيلية الشام تحت قيادته ، وأن يجعل منهم قوة  
وقفت أمام كل من حاول الاعتداء عليهم ، ثم أنه نشر آراء  
نعاليم الحسن ( على ذكره السلام ) وأضاف إليها آراء جديدة من  
عنده ، هي آراء قرية من آراء النصيرية ، ومن ذلك القول  
بالتناسخ ، وهي عقيدة لم يقل بها الإسماعيلية من قبل بل نجد  
في كتب دعاة الإسماعيلية القدماء تهكماً بالتناسخ وسخرية من  
القاتلين بهذه المقالة ، ولكن سناناً كان يعيش في صفره في بيئة  
تقول بالتناسخ ، فترسخ في عقيدته ما كان يسببه من هذه الآراء .



ولم يستطع أن يترج هذه الآراء من غيبته ، بل قال بها بعد أن أصبح رئيس طائفته وأذاعها بين أتباعه . ومن هنا جاء رأى الاسماعيليه بأن سنانا هو ابن أحد الأئمة الذين كانوا مستترين في آلوت . وذهب بعضهم إلى أنه هو الإمام نفسه ، وقد اخص بالصفات التي خلعها الأئمة الاسماعيليه على أنفسهم منذ ظهور طائفة الاسماعيليه ، حتى إن المستشرق الفرنسي جوار توم أنه يادى بالآلوهية متأراً في ذلك بالآراء التصيرية ، والمستشرق جوار كما لغيره من الذين تعرضوا للكتابة عن الاسماعيليه عندهم في عدم فهم معنى أو تأويل هذه الصفات ، لأن كتب التأويل الاسماعيل لم تكن في متناول أيديهم على نحو ما هي الآن . ومهما يكن من شيء فإن اسماعيلية الشام اعترفوا بإسالة راشد الدين سنان وألقوا به مناقب كثيرة ، ومنها أنه كان يعلم النبىء ، وبروون عنه في ذلك نواتر منها أنه أمر الفلاحين يوماً بالعودة مبكرين من الحقول إلى منازلهم لأن طقلا صغيراً جرح جرحاً خطيراً دون أن يراه أحد ، وأن الطفل في حاجة إلى من يعتنى به والامات ، فلما ناد الفلاحون إلى قراهم وجدوا الطفل على نحو ما ذكره سنان .

وبروى الاسماعيليه أيضاً أن سنانا كان متوجهاً إلى قلعة مصيف ذات يوم فنزل بقرية المجدل التي خرج أهلها جميعاً لاستقباله والترحيب به ، وجاءه شيخ القرية بطعام منطى ونظاء

ووضع الطمام بين يدي سنان ، ولكن سناناً أمر بأن يوضع  
هذا الطمام على حدة وأن لا يكشف أحد من الطمام ، وأخيراً  
عند ما هم سنان وكوب دابته ، سأله شيخ القرية عن سبب عدم  
تناول شيء من طعامه الذي قدمه له وما في ذلك من استهان له أمام  
أهل القرية ، فعمس سنان في أذنه بأن زوجة شيخ القرية هيأت  
الطمام على مجمل واضطراب فنسيت أن تزع أحشاء الدجاج منها ،  
ففضل سنان أن يتصرف هذا التصرف حتى لا يعرف أهل القرية  
شيئاً عن السبب فيزداد استهانهم لشيخ القرية وزوجه . فقتل هذه  
القصص كان لها أثرها في عقلية الدماء والسذج ولا سيما في تلك  
العصور التي عاش فيها سنان ، فذهبوا في سنان مذاهب شتى .  
أضاف إلى ذلك كله أن سناناً كان يكثر من عقد مناظرات  
بينه وبين علماء أهل السنة بحضور عدد كبير من أتباعه ، وكان  
سنان يظهر على كل مناظرة ويدحض هججهم وأقوالهم بما جمل  
أتباعه يتقادون إليه كل الاقياد ، ويتبعون تعاليمه وآراءه أتباعاً  
أعمى ، واعتقدوا أنه هو الإمام من نسل نزار فلم يتطلخوا إلى  
آلوت أو إسلمة من كان هناك ، ومات سنان بعد أن نظم جماعة  
الاسماعيلية في سورية ، وخلفه في رئاسة الطائفة جماعة من الدعاة  
لم يكن لهم مواهب سنان وقوة شخصيته . ولذلك تطلع اسماعيلية  
الشام مرة أخرى إلى أئمة آلوت ، وقد ذكرنا كيف غزا هؤلاء  
قلاع الاسماعيلية في قرطبي سنة ٦٥٤ هـ ، واضطروا إليهم

دكن الدين شاه إلى الاستسلام له فأرسل دكن الدين إلى داعيته  
 بالشام أبي المال رضى الدين أن يسلم قلاع الشام إلى الفول ،  
 فرفض الداعي أن يأتمر بأمر إمامه وأراد المقاومة ، ولكنه أمام  
 اختصارات الفول في الشام اضطر أن يسلم بعض القلاع لهم سنة  
 ٦٥٨ هـ ، غير أن جيوش مصر استطاعت أن تنزل بالفول هزيمة  
 منكرة في موقعة عين جالوت في رمضان سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩م)  
 وتبدد شمل جيوشهم في الشام واسترد الجيش المصرى البلاد التى  
 استولى عليها الفول ، فأنشز الداعي أبو المال هذه الفرقة وجمع  
 رجاله الذين أظهروا بلاءاً حسناً ضد الفول ، واسترد بهم قلاع  
 الاسماعيليه ، ثم أخذ في تطهير طائفته من كل من ضعف عن  
 القتال معه أو من خافه ، وبذلك قوى الاسماعيليه بعض الشيء ،  
 غير أنهم لم يستطيعوا أن يقفوا أمام جيوش الظاهر بيبرس الذى  
 هاجمهم سنة ٦٦٤ هـ ، وكانوا برئاسة الداعي «نجم الدين» واضطروا  
 إلى أن يطلبوا من بيبرس أن يكونوا من بين رجاله ، ولعل  
 ضياع حصون وقلاع الاسماعيليه في فارس وتشريد دم في البلاد  
 واستتار إمامهم الاسماعيلى النزازى خوفاً على نفسه ، كل ذلك كان  
 من أسباب تخاذل الاسماعيليه بالشام وضعفهم إلى هذه الدرجة  
 التى قابلوا بها جيوش الظاهر بيبرس ، فقبلوا أن يدفعوا له الجزية  
 وأصبح له الحق في أن يولى عليهم من يشاء من الدعاة ويعزل من  
 يشاء ، ففى سنة ٦٦٩ هـ عزل بيبرس الداعي نجم الدين وولى بدلا

عنه الداعي صارم الدين بن سالة على قلعة القدموس وقلعة الرصافة ،  
أما مصياف التي كانت القلعة الرئيسية للإسماعيلية وعاصمة بلادهم  
بالشام فقد احتفظ بيبرس بحكمها لنفسه ، وقد شاء صارم الدين  
ابن سالة أن يتخلص من حكم بيبرس وأن ينقض المامدة التي  
كانت بين الإسماعيلية وبيبرس ، فهاجم مصياف وأمر بشوكة باقي  
قلاع الإسماعيلية ، ولكن حركته هذه فشلت وهرب صارم الدين  
إلى قلعة العليقة التي سقطت في أيدي نائب بيبرس سنة ٦٧٠ هـ ،  
وأتى القبض على صارم الدين الذي استسلم لبيبرس نفسه ،  
وكذلك استسلمت قلعة المنيقة وقلعة القدموس إلى رجال بيبرس  
بينما ظلت قلعة الكهف صامدة قوية إلى أن استسلمت سنة ٦٧٢ هـ ،  
وبذلك سقطت كل القلاع الإسماعيلية وعادوا إلى الخضوع إلى  
بيبرس ، وبالرغم من هذه الثورة الإسماعيلية التي قاموا بها ضد  
بيبرس فإنه لم يشق الإسماعيلية كما فعل هؤلاء الكوإسماعيلية فارس  
بل أبقاهم تحت سلطانه وتجب إليهم حتى يستفيد من توجيه  
الغنائمين لضرب أعدائه ، وقد صرح بذلك ابن بطوطة الرحالة  
الغربي الذي زار قلاعهم سنة ٧٢٧ هـ ، فيمد أن تحدث عن هذه  
القلاع قال : « وهذه الحصون لطائفة يقال لها الإسماعيلية ويقال لهم  
الغندلوية ، ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم ، وهم سهام الملك  
الناصر بهم يصيب من يدعو عليه من أعدائه ، ولهم الرقيات ، وإنما  
أراد السلطان أن يبعث أحدهم إلى اغتيال عدوه أعطاه دية » .

فإن سلم بعد تأدية ما يراد منه فعلى له وإن أصيب فعلى لولده ،  
ولعل الغدائي الذي كان يعتمد عليه بيرس هو الدعور « شيعة »  
الدفون بدعياط والذي يقال فيه للثل الماي « مثل ألاعيب شيعة »  
حتى إن شيعة هذا ذكر في القصة الشعبية التي وضعها المصريون  
عن الظاهر بيرس ، وكنا نود أن نوافينا الراجع بشيء عن  
شيعة هنا ، ولكنها بخلت علينا بذلك .

ومهما يكن من شيء فإن اسماعيلية الشام ظلوا على عقبتهم  
يجاهدون بها في قلاعهم وحصونهم ، منهم من يدعو للأمة  
الترارين من نسل قاسم شاه ، ومنهم من يدعو إلى الأمة التزارين  
من نسل إمام شاه ، غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة  
بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به في الشام ، ولا يزالون إلى  
الآن في سلبية والحواشي والقمموس ومصبات وإنياس والكهف .

## الفصل السادس

### أغا خان

---

بعد تشريد الاسماعيليه المزارية وتشتت شملهم وضياح قلاهم  
في فارس ، وبعد أن هاجر عدد كبير منهم إلى بلاد الهند ، لم يعد  
أحد يسمع شيئاً عنهم أو عن نشاط سياسي لهم ، فلم يحاولوا أن  
يتجمعوا ليقوموا ببناء كيان سياسي خاص بهم مثل هذه المحاولات  
العديدة التي قاموا بها من قبل ، بل أستطيع أن أذهب إلى أبعد  
من ذلك فأقول إن أفراد الطائفة في الهند لم يبالوا بشيء سوى  
الحفاظة على حياتهم ، ولم يتصل أحدهم بالآخه إلا هؤلاء الذين  
كانوا في حاشية الآخه ، حقيقة ظفروا على عقيدتهم الاسماعيليه التي  
تأثرت بالعقائد الهندية ، وحاول بعض الدعاة أن ينشروا المذهب  
الاسماعيلي بين طوائف المنود المختلفة وخاصة بين طبقة النبوذين  
ونجحوا في ذلك نجاحاً ملحوظاً ، ولكنهم طشوا في الهند  
مواطنين مسالين مثل غيرهم من سكان الهند ، واعتبرتهم الدولة  
إحدى الطوائف الدينية التي تكثر في تلك البلاد ، ولم تهتم بهم  
الدولة لأنه لا خطر منهم على سلامتها ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً  
عنهم لأنهم لم يقوموا بأعمال يسجلها التاريخ ، ولم يظهر بينهم

شخصية فئة هفت متدعيا الباحثون ، كانوا يشتغلون بالتجارة وتغيير المال ، شأنهم في ذلك شأن الأقليات في كل مجتمع ، ونجحوا في ذلك نجاحاً ملحوظاً ، أما حياض الحياة الأخرى فتركوها لتغير . ظلوا يعيشون في سلم وأمان حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، فيه ظهر في إيران « حسن علي شاه » الذي جمع حوله عدداً من الاسماعيلية وغير الاسماعيلية هانم بهم القرى والقوافل حتى ذاع صيته في جميع أنحاء إيران ، وأصبح له نفوذ واسع على أتباعه حتى خشيته الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران ولا سيما بعد وفاة الشاه فتح على سنة ١٨٣٥ م ، وأشاد الإيرانيون بأعمال البطولة التي قام بها حسن علي شاه وأتباعه فوافدوا عليه وانضموا لجماعته طمعا في الكاسب الثدية التي سيحظون بها من مهاجرة القرى والمدن ، ولم يكن « حسن علي شاه » في ذلك الوقت يذيع شيئاً عن اسماعيليه أو ينشر بين أتباعه شيئاً عن عقيدته ، بل يهل أولاً على جمع الناس حوله ويظهرونهم بمظهر البقوى النقي .

أما الناحية الدينية للذهبية فلم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد ، وفي هذه السنوات التي بدأ فيها الحسن علي شاه هذه المحاولات ، كان الإنجليز يعملون على بسط نفوذهم في بلاد فارس ، ومن عادة الإنجليز دأباً في كل بلد يطمعون في استمهاده أن يثروا الناس في دبرجه ، ويوقموا الفرقة بين صفوف الأمة

الواحدة ، ويستميلوا إليهم كل طامع في الجاه أو الثروة ،  
 فكان من الطبيعي أن يتصل أعوان الإنجليز وسناتهم في فارس  
 بجماعة حسن علي شاه ، وزيخوا لهم القيام بثورة ضد الشاه ،  
 ومنوهم أن يتولى حسن علي شاه حكم فارس ، وتمت المؤامرة  
 مع الإنجليز ، وقام حسن علي شاه بالثورة ، ولكنها فشلت ،  
 وقبض شاه إيران على حسن علي شاه زعيم الثورة وزج به في  
 السجن ، ولكن الإنجليز تدخلوا واستطاعوا أن يحصلوا على  
 امر بالإفراج عنه بشرط أن ينق من إيران كلها ، وخرج حسن  
 علي شاه من سجنه وهو لا يدري أين يذهب وقد انقض  
 من حوله أنصاره وأتباعه ، فزين له الإنجليز أن يرحل إلى  
 أفغانستان ، فرجا استفادوا منه هناك ، إذ كان الإنجليز في حرب  
 مع الأفغانيين ، وكانوا على خلاف شديد مع روسيا بسبب  
 مناطق النفوذ في أفغانستان . رحل حسن علي شاه إلى أفغانستان  
 محزوا بتعاليم من الإنجليز يزداد بها نفوذهم ، وكان يفتح نفسه  
 دائما بأنه يرد إلى الإنجليز جميلهم في إطلاق سراحه ، ولكن  
 يظهر أنه لم يوفق في مهمته ، فقد قتل الأفغانيون إليه وإلى الثود  
 الذي جاء يثله ضدهم في خدمة أعدائهم الإنجليز ، فاضطر بعد  
 فشله إلى الرحيل إلى الهند واتخذ مدينة بمباي مقراً له ، وأراد  
 الإنجليز أن يستفيدوا منه مرة أخرى ، فإذا بهم يعترفون به إماماً  
 للطائفة الزارية الإسماعيلية ، وخطبوا عليه لقب « آغا خان »



ومنحوه السلطة الطائفة على أتباعه الاسماعيلية ، فتجمع حوله الاسماعيلية في الهند وفرحوا بظهور شأنهم بعد أن ظلوا مقهورين طوال هذه القرون ، وبظهور إمامهم الذي ظل في السر والكنان مئات السنين ، فرأى « حسن علي شاه » أو « آغا خان » نفسه بين جماعة يطيعونه طاعة تدبّر دون أن يكون لهم غرض ملأى ، أقوى نفوذه بينهم وأصبح كأنه سلطاتهم الفعلية ، فأخذ ينظم شؤونهم إلى أن توفي سنة ١٨٨١ م ، وبذلك وجدت الأسرة الآغاخانية وصارت لهم إمامة الاسماعيلية الزارية ، واتسبوا إلى الإمام زلر بن المستنصر بالله الفاطمي ، ومؤسس هذه الأسرة هو حسن علي شاه وهو أول إمام إسماعيلي لقب بآغا خان .

خلقه ابنه آغا علي شاه في إمامة الطائفة الاسماعيلية الزارية ولقب بآغا خان الثاني . كان أبوه قد هيأ لتولي هذا النصب الخطير وتحمل إمامة طائفة دينية ، فطه تعلما يتفق مع ما كان ينتظره من الإمامة ، فكان آغا خان الثاني على درجة عالية من الثقافة وكان يجيد عدة لغات إبادة عامة منها اللغة العربية ، وكان شاعراً من شعراء اللغة الفارسية والأوردية والجورانية ، وقد أخذته ثقافته وسعة اطلاعه في نشر التعليم بين طائفته ، بل أنشأ في الهند مدارس خاصة بالسلمين مموماً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، فأكتسب بذلك تقدير وحب جميع السلمين في الهند ، وبما ضاعف في علم مكانته بين الناس أنه استطاع أن يتزوج

زوجته الثالثة كريمة الشاه فتح على شاه إيران وهي المروفة باسم « بيبي خان » ، وأنجب منها ابنه محمد الحسيني شاه المروف بأغا خان الثالث ، وهو أبا خان المروف في العالم بأسره المتوفى في أغسطس سنة ١٩٥٧ م ودفن في أسوان بمصر ، والذي في عهده بلغت طائفة الاسماعيلية مكانة في العالم كله ونظمت تنظيمها دقيقتاً بفضل عبقرية أبا خان الراحل .

### أبا خان الثالث :

ولد أبا خان الثالث « محمد الحسيني شاه » في مدينة كراتشي — عاصمة الباكستان الآن — في ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٧ م ، وتولى إمامة الطائفة الاسماعيلية عقب وفاة أبيه أبا خان الثاني في ١٧ أغسطس سنة ١٨٨٥ م ، وكان أبا خان الثالث في الثامنة من عمره حين تولى الإمامة ، وكانت الإمامة أولاً لأخيه شهاب الدين شاه ، توفى في حياة أبيه ، فانتقلت ولاية العهد إلى محمد الحسيني شاه الذي تولى الإمامة صغيراً فكفله أمه وفي نفس الوقت أشرفت بنفسها على شئون الطائفة الإسماعيلية ، وكانت سيدة تتناز برباحة العقل وحسن التدبير والقدرة على تصريف الأمور على أحسن وجه ، فإلها يرجع الفضل في تشجيع الرأى الاسماعيلية على طلب العلم وعلى الساعمة في الحياة العملية جنباً إلى جنب مع الرجل ، وقد طلبت إلى عدد كبير من فتيات الأسر الاسماعيلية الكبيرة

في الهند أن يتطوعن للعمل في المستشفيات إبان الحرب العالمية الأولى ، وطلبت إلى الرأة الاسماعيلية الاشتراك في الأندية الرياضية والندوات الثقافية والجمعيات العلمية ، فإلى السيدة « يبي خان » يرجع الفضل الأول في نهضة الرأة الاسماعيلية وخروجها على التقاليد القديمة ، وقد لمس الاسماعيلية منذ أول وهلة تولت فيها شئونهم اهتمامها الشديد بتنظيم المجتمع الاسماعيلي ، ودفع هذا المجتمع إلى الأمام بعيداً عن التقاليد البالية التي كان عليها الاسماعيلية من قبل أو التي يعيش عليها إخوانهم الاسماعيلية البهرة ، فاندفع الاسماعيلية الأفغانية ( الزارية ) إلى الأخذ بأسباب التقدم الاجتماعي ، والأخذ عن الحضارة الغربية بمقدار ، ومن الطبيعي أن تهتم هذه السيدة بتربية ابنها « أنا خان » تربية من شأنها أن تجعله إماماً صالحاً لطائفته أولاً وللإنسانية ثانياً ، حتى كانت سنة ١٨٩٣ وقد بلغ ابنها السادسة عشرة من عمره ، فترك إليه شئون الطائفة على أن يستشيرها كلما وجد ما يدعو لاستشارتها ، أو وجد نفسه أمام مشكل من المشاكل . تركت إليه تدير أمور الطائفة التي هو إمامها ، ولكنها ظلت تربيته وتبقي أعماله وتوجهه إلى ما فيه خير هذه الطائفة ، وبفضل توجيه هذه السيدة الكريمة استطاعت الطائفة الاسماعيلية أن تبلغ في عهد أئمن خان الراحل درجة من التراء والثقافة والتقدم الاجتماعي ما جعلت صحف العالم تتحدث عنه . استطاع أنا خان

بما قام به من أعمال أن يكتب احترام المسلمين وغير المسلمين ،  
 وبالرغم من أنه استمر يدين بآراء وعقائد الحسن ( على ذكره  
 السلام ) وجعل طائفته يدينون بنفس هذه العقائد فإنه كان يحب  
 دائماً أن يبرف أنه غيور على الإسلام ومصالح المسلمين ، وأنه من  
 نسل قاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقام من  
 مشكلة وقعت للمسلمين في عهده إلا وראה قد طرح عن نفسه  
 صفته الذهبية وسببته الطائفة وتطوع للدفاع عن المسلمين ،  
 وتاريخه الطويل حافل بذلك ، ولنضرب لذلك بعض أمثلة فإننا  
 لا نستطيع أن نسرّد كل ما قام به ، فقلّين يعرفون تاريخ حياته  
 يذكرّون أنه إبان حركة السكّالين في تركيا والنساء الخليفة  
 العثمانية ، كان أغا خان يدافع عن الخلافة ويهب العثمانيين الأموال  
 ليظلّوا رمزاً لقوة الإسلام والمسلمين ، مع العلم بأن تاريخ الأتراك  
 يدل على أنهم كانوا أعداء الشيعة عامة والاسماعيلية خاصة ،  
 فالأتراك من جمهور أهل السنة على مذهب أبي حنيفة الذي يخالف  
 مذهب الاسماعيلية تمام المخالفة ، والعداوة بين المنصر التركي  
 والاسماعيلية عداوة قديمة تقليدية ، ومع ذلك كان أغا خان يدافع  
 عنهم لأن الخلافة الإسلامية رمز للمسلمين ، وكذلك يقول عن  
 موقفه إبان الحرب بين السكّالين واليونان ، فقد فكرت إنجترا  
 أن تدخل الحرب في صف اليونان ضد تركيا ، فلما علم أغا خان  
 بذلك أسرع إلى إنجترا وقابل المسؤولين فيها إذ ذاك واستطاع

بنقوده وصداقته لم أن يقتنعهم بالمدول عن هذه الفكرة التي  
 سئىء إلى العالم الإسلامى بأسره ، ونذكر أيضاً أنه أثناء عقد  
 الصلح بين تركيا واليونان كان الاتفاق على أن يكون إقليم تراقيا  
 من نصيب اليونان ، فقام أغا خان على رأس وفد من مسلمى الهند  
 بضم ممثلى الفصائل المختلفة ، وحاولوا إقناع لويد جورج رئيس  
 وزراء بريطانيا في ذلك الوقت بالعمل على أن يكون إقليم تراقيا  
 من البلاد التركية ، ولكن لويد جورج قال للوفد « إن اليونان  
 تحتل هذا الإقليم بالفعل ولا سبيل لنا إلى إخراجهم منه » فاجرى  
 له أغا خان يقول « حسناً يا سيدى رئيس الوزراء إلى رجل كبير  
 السن ولكنى سأذهب إلى تراقيا وسينى في عيني لطرد اليونان  
 من هذا الإقليم الذى هو جزء من بلاد المسلمين » ومع هذا لم تفلح  
 محاولة أغا خان ومن معه من مسلمى الهند في إعادة هذا الإقليم  
 إلى تركيا . ومن مآثره أيضاً في خدمة المسلمين جميعاً أنه نادى  
 بأن يأخذ المسلمون في الهند مكانهم الطبيعي في الحياة السياسية  
 والاجتماعية والثقافية ، فأسس مع جماعة من المسلمين « الرابطة  
 الإسلامية » سنة ١٩٠٧ وانتخب رئيساً لها سنة ١٩١٤ ، وكانت  
 هذه الرابطة تجمع كلمة المسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم ،  
 وتعمل على النهوض بمستواهم في الهند ، وهذه الرابطة تطورت  
 إلى حزب سياسى كان له خطره في الهند وترتب على أعماله وجود  
 دولة الباكستان الحالية ، وبالرغم من أن مؤسس دولة الباكستان

« محمد علي جناح » كان من أتباع أنا خان في العقيدة ، فإنه كان يخالفه في الرأي السياسي لأن أنا خان لم يوافق على تقسيم الهند أو على إنشاء دولة الباكستان إذ كان يرى وجودها إنشائي شأن المسلمين في الهند والباكستان معاً . ولكنهم خالفوا رأي إمامهم وانسقوا وراء فكرة التقسيم لما فيها من غم لهم ، ومع ذلك فإن أكثر رجال دولة الباكستان المشوليين من أتباع الاسماعيلية الأتاتانية .

ولعل أقوم عمل خالد له في سبيل المسلمين هو إنشاء أول جامعة علمية للمسلمين بالهند ، فقد رأى أن الهندوكيين يتبرهون بسخاء لإنشاء جامعات علمية لهم ، وليس للمسلمين جامعة تدرس العلوم الحديثة بجانب العلوم العربية والإسلامية ، وتجد أن المسلمين بالهند متخلفون في ميدان العلم لسبب انكبابهم على الكتب الدينية فقط من تفسير وحديث وتصوف وكلام وهي علوم لها قيمتها الكبرى لكل من يتخصص فيها ويؤهل نفسه ليكون رجلاً من رجال الدين ، ووجد بالهند معاهد خاصة إسلامية لتدريس هذه العلوم الإسلامية دون أن يتقدم العلماء أو الطلاب خطوات بهذه العلوم بل كان أكبر همهم هو المحافظة على تقاليد ليست من الدين الإسلامي في شيء كالتقيد بزي خاص أو التمسك بالحقى إلى غير ذلك من الظواهر التي تشاهدنا اليوم بين علماء المسلمين في الهند ، أما العلوم الحديثة فكان العلماء يقولون إنها

علوم أهل النار !! رأى أنا خان ذلك كله فدعا المسلمين في الهند على اختلاف مذاهبهم إلى إنشاء جامعة المسلمين ، وعمل على نشر الوعي العلمى بين المسلمين ، وقام على رأس وفد من المسلمين طاف بهم كل بلاد الهند لجمع تبرعات من المسلمين لإنشاء هذه الجامعة ، واكتسب المسلمون من غير الاسماعيليه لهذه الجامعة ودفع أنا خان من ماله الخاص مبلغاً يوازي كل ما جمع من المسلمين ، فكان نتيجة هذا الجهد « جامعة أليجار » التى تجمع في منهجها العلوم الحديثة مع العلوم الإسلامية والعربية ، وانتخب أنا خان مديراً تقريباً لها عدة مرات ، ومديرها الفخرى الآن هو طاهر سيف الدين زعيم الاسماعيليه البهرة .

وأذكر أنى كنت آنحذت إليه بفندق ميناهاوس بالقاهرة عقب إنشاء الجامعة العربية ، فأبدى لى أسفه من عدم تفكير الثروليين فى إنشاء جامعة إسلاميه تضم جميع البلاد الإسلامية للهوض بللستوى الثقافى والاجتماعى والاقتصادى بين شعوب المسلمين ، وكان من رأيه ضرورة إنشاء الجامعة الإسلامية على شرط أن لا تتدخل هذه الجامعة فى الشئون السياسية ، وكان على استعداد للقيام بالهوية لهذه الجامعة وأن يدفع وحده عن طائفة الاسماعيليه مبلغاً يساوى جميع ما يدفعه المسلمون فى العالم إنا تحققت هذه المرحدة بين المسلمين ، وتركته رحمه الله وأنا أفكر فى أقواله عن المرحدة الإسلامية وجامعة الأم العربية وتوهمت يومئذ أن الرجل

ربما كان مدفوعاً من الإنجليز لتعطيم الجامعة العربية .

اهتم آغا خان بالتبشير بذهب الإسماعيلي ودعوة الناس إلى اعتناق عقائده ، ووجه اهتماماً خاصاً للتبشير بين طائفة اللبوذيين بالهند فاستجاب لدعوته جمهور فقير منهم ، وأتباعه يذكرون كيف أن شخصاً واحداً من كبار رجلم وهو السيد محمد علي ميكلاي اللبوذير المعروف في بمباي استطاع بمفرده أن يدخل نحو عشرة آلاف ملبوذ في الطائفة الإسماعيلية . وكان آغا خان يطلب من المؤلفين أن يضعوا كتباً عن الإسلام باللغات الأوربية وبكافى المؤلفين بسخاء ، حتى إن أحد الأطباء المصريين عاش في أوروبا أكثر من ثلاثين سنة يؤلف كتباً إسلامية ويتقاضى من آغا خان أجوراً عالية كففت له أن يعيش في أرق مستوى في أوروبا .

تزوج آغا خان أربع مرات دون أن يجمع بين زوجتين ، ففي سنة ١٨٩٧ م تزوج من أميرة إيرانية هي البيجوم ( بمعنى السيدة ) شاه زادي ، ولكنها توفيت بعد سنوات قليلة ، وفي سنة ١٩٠٨ م تزوج من فتاة إيطالية هي تريزا ماجليانو وأحبب منها ابنه الأكبر « علي سليمان خان » ، وفي سنة ١٩٢٧ م أحبب بفتاة فرنسية كانت تبيع الحلوى والسجائر في كشك ببحرارة متقى العلوم بحى مونبارناس بباريس هي أندريه كارون وأحبب منها ابنه « صدر الدين خان » ثم طلقها ، وتزوج سنة ١٩٤٤م من فخرية



أزياه اتخذت ملكة جمال العالم هي « لايروس » وهي أرملته .  
 اللقبة بعد أن أسلمت وتعدت بالاسماعيلية بالبيجوم أم حبيبة .  
 هؤلاء من زوجات أغا خان الراحل الشرعيات ، غير أن القرين  
 إليه يقولون إنه في شبابه كان زير نساء .

كان أغا خان بعيد النظر صادق الفراسة ، يعرف كيف  
 يستغل اللوائف في سبيل طائفته ، فقد رأى مثلاً أن بريطانيا قد  
 احتلت المستعمرات الألمانية في شرق أفريقيا بعد الحرب العالمية  
 الأولى ، وأن بهذه البلاد خيرات كثيرة ، فأمر الفقراء من  
 أتباعه بالهجرة إليها ، وساعدهم بالمال والتفوذ لدى الإنجليز حتى  
 استطاع الاسماعيلية هناك أن يستولوا على الحياة الاقتصادية ، وأن  
 يصبحوا من أغنياء العالم ، ومن هنا نلس سبب الشكوى  
 في أن الاسماعيلية في كينيا يناهضون الحركة التحررية ، ويساعدون  
 الإنجليز في قمع ثورة « ماو ماو » ، وهي الثورة التي تهدف إلى  
 إخراج الإنجليز من هذه المنطقة . وفي سنة ١٩٥٦ أنجه أغانخان إلى  
 أتباعه في سورية فأمر بتأسيس شركة تجارية للتجارة مع اسماعيلية  
 شرق أفريقيا ، ورصد مليوناً من الجنيهات لهذه الشركة ، وكان قبل  
 ذلك بسنوات قد لاحظ ضعف حالة اسماعيلية الشام الاقتصادية وأنهم  
 لا يستطيعون أن يدفعوا له « الخس » — وهو المال الذي يجب أن  
 يدفعه كل اسماعيلي إلى الإمام — فأمر بإحضارهم من هذه الفريضة  
 لمدة عشر سنوات على أن يدفعها القادرون ، وتجمع هذه الأموال:

وتتفق في النهوض بمستوى الطائفة في الشام ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، وأمر بتشكيل مجلس أعلى للإشراف على ذلك .

ويتساءل الناس عن قصة وزن أغا خان بالذهب والفضة والبلاتين ، فقد وزن مرتين بالذهب مرة في مدينة بومباي سنة ١٩٣٦ ، ووزن مرة أخرى في شرق أفريقيا سنة ١٩٣٧ ، وذلك بمناسبة مرور خمسين سنة على ولايته إمامة الطائفة الاسماعيليه ، ووزن ثلاث مرات بالفضة سنة ١٩٤٦ احتفالاً بمرور ستين عاماً على إمامته ، ووزن في القاهرة سنة ١٩٥٦ بالبلاتين بمناسبة الاحتفال بمرور سبعين عاماً على إمامته ، جمع أتباعه من أبناء الطائفة ما يوازي قيمة وزنه بهذه الجواهر وقدموا هذا اللبغ هدية منهم إليه في تلك المناسبات رمزاً لحبهم العميق له وولاء منهم لإمامهم ، ولكن يجب أن نتعرف بالحقيقة التي لا يعلوها غير أتباعه أو التصلين بهم ، وهي أن هذه الأموال التي قدمت إليه في كل هذه المناسبات لم يتسلمها أغا خان ولم تدخل في رصيده الضخم في البنوك ، إنما تسلمها « مجلس إدارة الرابطة الاسماعيليه » للائتمان بها في نشر التعليم وإنشاء المستشفيات للطائفة ومساعدة المحتاجين — أنى وجدوا من أبناء الطائفة — فمجلس إدارة الرابطة الاسماعيليه هو الشئ الأول أنام أغا خان عن النهوض بالطائفة ورفع مستوى أفرادها في جميع النواحي ، وقد وضع المجلس دستوراً لجمعيات الاسماعيليه في جميع بلاد العالم .

وتتلخص مواد هذا الدستور في تقسيم الطائفة الاسماعيليه إلى وحدات ، ويشرف على كل وحدة منها أخصائيون اجتهاديون وأساتذة مثقفون وأطباء ، ويشكون منهم مجلس إدارة الوحدة ، وعلى كل وحدة أن تهتم بتعليم أبنائها بالجمان في مدارس خاصة بهم في الوحدة ، وإذا نفع أحد التلاميذ فالوحدة تبحث به لإتمام تعليمه في جامعات إنجلترا ، وإذا أراد التلميذ أن يختصر تعليمه ويتجه إلى التجارة فعلى الوحدة مساعدته مادياً وأدياً حتى يتجه في تجارتها ، وعلى الوحدة أن تفتش المستشفيات الخاصة بالطائفة والملاج بها بالجمان أيضاً ، ويجب أن يهتم الاسماعيليه في كل الوحدات بالرياضة البدية وأن يكون شعارهم هو شعار الاسماعيليه الأثانية : « ظهر نفسك وظهر جسدك » .

وفي ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ أصدر أغا خان دستوراً خاصاً للطائفة الاسماعيليه في إفريقيا ، ونص هذا الدستور على تقسيم الطائفة في إفريقيا إلى ثلاثة مراكز رئيسية ، المركز الأول في دار السلام ، والثاني في نيروبي ، والثالث في كامبالا ، أما الاسماعيليه الذين في زنجبار ومدغشقر والكونغو البلجيكي فيقيمون المركز الأول في دار السلام . ويعين أغا خان رئيساً لكل مركز لمدة عام واحد فقط ، وللرئيس سلطة اختيار الذين يملأونوه في الإشراف على الاسماعيليه التابعين له بعد أن يوافق أغا خان على هؤلاء المملأين ، ونص الدستور على أن يكون السيد محمد علي ميكلاي

رئيساً عاماً لكل هذه المراكز ، وله الزم الأخرى في كل شيء .  
 بعد استشارة أفاضل ، وجاء في هذا الدستور أيضاً أن كل إسماعيلي  
 يريد أن يتطوع لنشر الدعوة الإسماعيلية ، أو أن يكون مدرساً ،  
 عليه أن يمد نفسه لتلك إعداداً خاصاً من الناحية الثقافية العامة  
 ومن الناحية الدينية ، على أن تطوعه هذا لا يكسبه أي حق من  
 الحقوق بل يلزمه ببعض الواجبات ، وكل الذي يعود عليه من  
 تطوعه هو شرف خدمة الدعوة وخدمة الإمام ، ويشترط على كل  
 من يتطوع لهذه الخدمة والحصول على هذا الشرف أن يعتمد كل  
 البعد من أي عمل سياسي ، أو الاتصال بأية هيئة سياسية أو شبه  
 سياسية حتى لو حملت هذه الهيئة اسماً ثقافياً ، ولا يسمح لنفسه  
 أن يقبل هدية ما بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة من أي  
 شخص أو أية هيئة . كذلك نظم الدستور المواد الدراسية التي  
 يجب على المدرسين والباحثين أن يتوسموا في دراستها ، وأهم  
 المراجع العلمية التي يعتمدون عليها ، وبين الدستور طريقة جمع  
 التبرعات من الطائفة وأوجه صرفها . . . الخ ، ومركز قيادة  
 الإسماعيلية الرئيسي في العالم كله مدينة كراتشي عاصمة الباكستان ،  
 ومن هذا المركز تصدر التعليمات إلى جميع المراكز الأخرى .

هكذا أوجد أنا خان تنظيمات جديدة الفرض منها الهوض  
 بالطائفة ، ويفضل هذه التنظيمات استطاعت طائفة الإسماعيلية أن  
 تبنت من جديد ، وأن تتحد اتحاداً قوياً جداً حتى صار لها هذه

بالشهرة الواسعة في جميع أنحاء العالم ، وذلك بفضل شخصية  
أغا خان الراحل بالرغم مما عرفه العالم عنه في حياته من حبه للحياة  
الصاخبة بين اللواتد الخضراء ومضمار سباق الخيل ، وحبه لارتداد  
دور المهر البريء وغير البريء ، حتى عجب الناس من تناقض  
شخصيته ، فهو إمام لطائفة دينية يعتقد أتباعه عصمته ، ورفضوه  
في التقديس إلى درجة الأنوعية ، ثم هو في الوقت نفسه لم يتخرج  
عن أن يأتي ما يتفق مع كل دين من الأدب ، ثم إن المعروف من  
أغا خان أنه كان يسرف في لهوه وسراته إلى درجة السفه ، وفي  
الوقت نفسه كان يقرر ويضلل فلا يدفع ملياً واحداً لغير أبناء  
طائفته ، وأذكر أن أحد أتباعه من كينيا جاء إلى مصر ياب  
الحرب العالمية الأخيرة ، وأراد أن يقتح متجراً ولكنه لم يوفق  
إلى العثور على المحل الذي أراد ، فذهب يشكو إلى أغا خان  
وكان إذ ذاك في مصر وكنت في زيارته ، فقال له أغا خان :  
اذهب وابحث عن المحل الذي يلائمك ، وسأوم على شرائه وسأدفع  
لك الثمن . وبالفعل دفع أغا خان حوالى ألفين من الجنيهات (خلو  
رجل) لحل في عمارة الإيموبيليا وتاجر فيه هذا الإسماعيلي ، وبعد  
سنة واحدة انتهت الحرب ثم انتقل الإنجليز من القاهرة إلى  
منطقة القناة ، فانتقل هذا التاجر الإسماعيلي وراءهم إلى القناة ثم  
عاد إلى بلاده بعد ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ . وفي نفس الوقت  
التي دفع فيه أغا خان هذا المبلغ لهذا الشاب الاسماعيلي ، دخل

رجل إيراني كبير السن رقيق الحال يسأله الساعدة ، فثار أفا خان في وجهه وطرده . وحدثني أحد أتباعه القريين إليه أنه إذا أراد أن يساعد شخصاً أو هيئة ، كان يرمز إلى أحد أتباعه اليسورين بذلك فيقول الدفع باسم أفا خان ، دون أن يخرج هو ملياً واحداً من جيبه . وأتباعه يحفظون منه كثيراً من التصامح في الاقتصاد وعدم الإنفاق ووجوب ممارسة التجارة ولو برأس مال قليل ، وعدم التدخين وعدم شرب الخمر ، كان يحض أتباعه على ذلك كله ويعظم في رسائله وخطبه لأتباع هذه التصامح .

ومن ذكرياتي معه رحمه الله ، أنني كنت أناقشه في بعض المسائل الفلسفية الخاصة بتطور عقيدة الاسماعيلية . وحالت المناقشة وخرعت من موضوع إلى موضوع مما جعلني أحجب أشد الإحجاب بعقليته وثقافته وسعة اطلاعه ، وإحاطته بكل ما يتعلق بالاسماعيلية إحاطة تامة ، فاستأذنته في توجيه سؤال إليه ربما أغضبه ، فلما وعدني بعدم الغضب قلت له :

— لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك ، فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إليه ؟

فضحك طويلاً جداً وعلت قهقهاته ، وصمت عينا من كثرة الضحك ثم قال :

— هل تريد الإجابة عن هذا السؤال ، إن القوم في الهند يبدون البقرة ، أليس خيراً من البقرة !!

فلم أحر جواباً بعد ذلك ، وخرجت من عنده وأنا أفكر في هذا الرجل الذي اعتقد فيه أتباعه الأثرية ، أو على الأقل إن نور الله حل به ، وكان هو يعلم أنه ليس إله ، ولم يحسه نور الله ، ومع ذلك ترك أتباعه في اعتقادهم دون أن يرشدهم إلى الحقيقة ، وترك الناس يقولون فيه الأقاويل ، وهو يسخر من هؤلاء . وهؤلاء ، ويستمر في حياته التي اختارها لنفسه دون أن يجعل لأحاديث الناس عنه آثراً أو يقيم لها وزناً .

كان أنا خان يجيد عدة لغات أوروبية كما كان يجيد اللغة القارسية والأوردية لغة مسلمي الهند ، ولم يكن يعرف اللغة العربية عبر عن مدى معرفته العربية فقال « قليلاً كثيراً ١١١ » .

ترك أنا خان ولدين ، الأكبر هو الأمير « علي سليمان خان » والثاني هو الأمير « صدر الدين » ، أما الأمير علي خان فقد ولد في ١٣ يونيو سنة ١٩١٠ م ، من أم إيطالية ، وأمضى طفولته في رعاية أمه متقلاً بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره التحق بكلية « مايو » بمدينة أكرامبالند ، وهي كلية خاصة بأبناء المهرجات قبل استقلال الهند ، وكان عميد الكلية رجلاً أنجليزياً اسمه « وادينجتون » وبعد أن آتم علي خان في هذه الكلية سنى دراسته ، تركها ليتلقى من والده فن الحياة ، وأمضى مع والده عدة سنوات ، تركه بعدها والده ليستقل بحياته الخاصة مع أترابه من الشبان بعد أن نصحه والده بكثرة السفر

والانتقل بين البلدان ليزداد خبرة وتكثر تجاربه في الحياة . وفي  
 مايو سنة ١٩٣٦ أحب على خان فتاة إنجليزية تزوجها واعتنقت  
 العقيدة الاسماعيليه وأطلقت على نفسها اسم « تاج الدولة »  
 واسطحبها على خان في رحلة طويلة إلى الهند سنة ١٩٣٧ ، وإلى  
 تركيا وسورية ومصر سنة ١٩٣٨ ، وشاركته في رحلة لصيد  
 النور في الهند وإفريقية ، وقد أنجب منها ولده « كريم » الذي  
 تولى إمارة الاسماعيليه بعد وفاة جده أبا خان الثالث ، وأنجبت له  
 أيضاً ابنة التانى « أمين » . ويظهر أن أبا خان كان يريد أن يوصى  
 بولايته أحد اثنين من بعده ، ابنة « صدر الدين » أو حفيده  
 « كريم » فإنه أمر أن يتقف ابنة صدر الدين وحفيده بالثقافة  
 الإسلامية بجانب الثقافة القرية ، وأن يتعلم اللغتين العربية  
 والفارسية بجانب الإنجليزية والفرنسية ، وطلب إلى أن أكون  
 مشرفاً على تثقيفهما بالثقافة الإسلامية ولكنى اعتذرت عن ذلك ،  
 فطلب منى أن أضع لهما التهج الذى يجب أن يسيرا عليه ، وأن  
 أبين للأستاذ الذى جاء لتثقيفهما من الهند أبرز اللوضوحات التى  
 يجب أن يهتم بها ، ولذلك لم أدهش عند ما قيل لى إن أبا خان  
 المراحل أوصى لحفيده كريم خان إمارة الطائفة من بعده ، حقيقة  
 كان أفراد طائفة الاسماعيليه منقسمين على أنفسهم أثناء مرض  
 أبا خان ، وكل جماعة يرشحون إمامهم المنتظر ، ولم اسمح أن أحداً  
 عنهم رشح الأمير على خان . إلا اسماعيليه الشام فقط ، وكنت



بالهند أثناء مرض أنا خان ، وصحمت مناقشات وجدال الاسماعيليه حول الإمام الذي يختارونه من بعد أنا خان . وسألني بعضهم عن رأيي شخصية كل فرد من أفراد أسرة أنا خان ، ولكنني اعتذرت عن الإجابة عن شيء لا يعني أو الدخول معهم في مناقشة موضوع هو موضوعهم ، واكتفيت بأن أعرف اتجاههم وآراءهم ، مما لا أستطيع أن أثبت في هذا الكتاب ، وقد علم الجميع بعد وفاة أنا خان وصيته بتوليته حفيده كرم ، فبدأ بعض أفراد الطائفة يسخرون من هذا الاختيار لأسباب لا أستطيع أن أذكرها هنا لأنها شخصية خالصة ، وغضب إسماعيلية الشام ، فاضطر الأمير علي خان إلى أن يسافر إليهم لإقناعهم بقبول وصية إمامهم الراحل خشية الانقسام بين الطائفة ، ولا تدري ماذا ستأتي به الأيام المقبلة .

هكذا كان تاريخ الاسماعيليه ، تاريخ طويل حافل بالحوادث ، مليء بالفاجآت ، كثرة فيه الدماء والجزر من انتشار سلطان الاسماعيليه وقودهم ، وكثرة تعرضهم للقتل والاضطهاد ، دافعوا عن وجودهم وكيانهم بطرق مختلفة ، منها سلاح العلم ، ومنها سلاح الفقر والاعتزال ، ومما أعداؤهم بكل موبقة فلم يأنهوا ، وطنهم أعداؤهم بالكفر والإلحاد فردوا هذه الطعنات ، ولا يزالون إلى الآن يتمتعون بوحدهم وقيمون شعار مذهبهم ، ويحاولون اليوم تجديد مجدهم .

## الفصل السابع

### أسرار نظام الاسماعيليه

في حديثنا عن تاريخ الطائفة الاسماعيليه ، رأينا كيف استطاعت أن تبسط سلطانها وتنفوذها في بلاد مختلفه من العالم الإسلامى وفي أزمنة مختلفه ، وفي الوقت الذى ظهر فيه عبيد الله المهدى في بلاد الغرب وأسس الدولة الفاطمية الاسماعيليه ، كان له أتباع يدينون بطاعته وإمامته في بلاد فارس ، وبلاد اليمن ، وفي العراق ومصر ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان للإسماعيليه نظم خاصه للدعاه لمذهبهم وإمامهم ، وكان لهم دعاة محكون من ذوى اللواهب الخاصة استطاع بهم إمامهم أن ينشر دعوته وعقيدتهم في هذه البلاد التى كانت تدين بالطاعة للخليفة العباسى ، والحق القول إنى لم أجد في تاريخ العصور الوسطى في دولة من الدول أو طائفة من الطوائف اهتماماً خاصاً بالدعاه وتنظيمها على النحو الذى وجدته عند طائفة الاسماعيليه ، فلا غرو أن أزعج أنهم أساتذة فن الدعاه في العالم ، حقيقة كان للمعتزلة دعاة ينادون بأرائهم ، وكان للشيعه الاثنى عشرية دعاة يمشرون بالمهدى المنتظر من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان للزيدية دعاة أيضاً ، ولكن دعاة

هذه الفرق لم ينظموا التنظيم الدقيق الذي كان للإسماعيلية ، ولذلك لم يكن لهذه الفرق من التاريخ ما للإسماعيلية ، وذلك بفضل العناية ونظمتها ، وقد لست من بعض مقابلاتي مع بعض المستشرقين الأمريكيين أنهم يريدون معرفة أسرار نظم الدعوة الإسماعيلية ، ونحن نعرف أن الأمريكيين يحمدون فن الدعاية ويتخذون لها وسائل مختلفة ، غير أنهم لم يبالغوا بعد ما بلغته دعاية الطائفة الإسماعيلية بالرغم من أدوات الدعاية الأمريكية والمخترعات الحديثة والدولارات الأمريكية .

جعل الإسماعيلية الدعاية من صميم عقيدتهم وفلسفتهم ، وتقوم فلسفتهم الذهبية على التأمل في نظم الكون والمخلوقات التي تحيط بالإنسان وتطبيق هذه النظم كلها على الدين ، واستفادوا في ذلك بكل الآراء التي قل بها الفلاسفة القدماء ، وبكل البيانات والعقائد القديمة ومنجوا ذلك كله بالدين الإسلامي ، فاستنبطوا بذلك عقيدة هي مزيج عجيب من كل الفلسفات وكل البيانات — وسنتحدث من ذلك في الفصل التالي — وأضافوا إلى ذلك كله فن الدعاية ، بحيث جعلوا الدعاة من حدود الدين ، وذلك إيماناً منهم في إسباغ الفضائل على هؤلاء الدعاة الذين يشرعون بالأئمة وبقيتهم الذهبية حتى يستطيع النامي أن يوجه أتباع للذهب كيفما شاء ، وأن يكون كلامه لهم من صميم الذهب ، فلا يحاجه أحد ولا يخالفه إلا كل ملوك عن الذهب ، فإسباغ شيء من التقديس على النامي

كان من عوامل نجاح الفاي في مهنته لما كان للدين من أثر قوى في نفوس الجماهير . وذهب الأئمة إلى أبعد من ذلك بحيث أتى لا أنغالي إن قلت إن حضارتهم في العصر الفاطمي في مصر كان أساسها الدعاية قبل كل شيء ، فهم لم يشجعوا الشعراء والأدباء إلا ليكونوا ألسنة لهم ، وهم لم يميلوا على الحصول على الطرائف والنفائس إلا ليأهروا بها أعداءهم ، وهم لم يسهلوا في إقامة الحفلات والأعياد وما تبع ذلك من إقامة الواثد للشعب في كل مناسبة إلا من قبيل الدعاية ، وكان لهم العذر في ذلك كله ، إذ كان أعداؤهم عييلين بهم من كل جانب وكان لهم أعداء يترصدون بهم داخل دولتهم الواسعة للترامية الأطراف ، فكان عليهم أن يظهروا أمام هؤلاء الأعداء جميعاً بظهر القوى التي للترف حتى يهابهم أعداؤهم ، كان ذلك بعد أن ظهر أئمة الاسماعيليه على مسرح الحياة السياسية ، وكوّنوا لهم دولتهم العتيقة التي عرفت بالدولة الفاطمية ، أما قبل ظهور هذه الدولة بينما كان الأئمة في دور السر ، فكان لا بد لهم من دعاية يدهون لهم سراً ويشررون الناس بقرب ظهورهم ، حتى تم للإمام الاسماعيلي تأسيس ملكه ، والدعاية إذن هي الوسيلة التي اتخذوها لتحقيق نجاحهم في دور السر وفي دور الظهور معاً ، ومن ثم كان اهتمامهم بأمر الدعاية وأمر الدولة حتى جملاها الدعاية من صميم المذهب الاسماعيلي .

نظم الاسماعيليه الدعاية تنظيماً دقيقاً هو نفسه نظام دولة

الملك ، فقد جعلوا العالم — الذي كان معروفاً في عصرهم — مثل  
السنة الزمنية ، فالسنة مقسمة إلى اثني عشر شهراً ، وإذاً فيجب  
أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً ، وصحوا كل قسم « جزيرة » ،  
ولا نعلم إلى الآن الأساس الذي قسموا به تقضاء العالم إلى هذه  
الجزر ، فإننا نراهم أحياناً يطلقون جزيرة مصر ويريدون بها بلاد  
الشام ومصر وبلاد المغرب معاً ، ويقولون جزيرة العراق  
ويقصدون بها بلاد العراق وبلوخستان ، ويطلقون على منطقة  
فارس وكرمان من إيران جزيرة فارس ، فتحديد الجزائر لم يزل  
سراً لم يستطع الباحثون الوصول إليه إلى الآن ، وكذلك يقول  
عن أسماء هذه الجزائر ، قد حلول الأستاذ السعدي و . إيفانوف  
أن يذكرها ولكنه وجد اختلافات عديدة في أسمائها ، ومهما يكن  
من شيء فإنهم جعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً  
هو المسئول الأول عن الدعاية فيها ، وكان يطلق على هذا الداعي  
لقب « داعي الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » .

والشهر ثلاثون يوماً ، ولذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون  
داعياً تقيماً لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوة التي يستعين بها  
في مجابهة الخصوم ، وهم عيون التي بها يعرف أسرار الخطة  
والعامة ، فكانوا بمثابة وزراء ومستشاريه في كل ما يتعلق  
بجزيرة .

واليوم مقسم إلى أربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة

بالليل ، وانتهى عشرة ساعة بالنهار ، فجعل الاسماعيليه لكل داعر  
تعب أربعة وعشرين داعياً منهم اثنا عشر داعياً ظاهراً كظهور  
الشمس بالنهار ، واثنا عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس  
بالليل . وبعملية إحصائية بسيطة نجد أن عدد الدعاة الذين بهم  
الاسماعيليه في العالم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً ، في وقت واحد ،  
وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الإحصاء ،  
وهم الدعاة الذين يكونون دائماً مع الإمام في مقراء ، وكلّهم بحاجة  
القيادة العليا للدعوة . فلعل هذا العدد الضخم من الدعاة الذين  
بهم الاسماعيليه في بلاد العالم كان كافياً لتحويل عدد من الناس  
إلىذهب الاسماعيلى واستطاعوا بهم أن يؤسسوا هذه الدول  
الاسماعيليه التي تحدثنا عنها أو القيام بهذه الحركات السياسيه التي  
ذكرناها . كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه  
إمعاناً في سرية الدعوة وحفظاً لنظمها ، فدعاة النهار الاثنى عشر  
في كل جزيرة كانوا يعرفون بالسكاسرين أو السكالين وهم أسفر  
طبقة من درجت الدعاة ، كانت وظيفتهم أن يشككوا الناس  
في عقيدتهم ولا يتجاوزون ذلك إلى أى عمل آخر ، كان عليهم أن  
يتنهبوا أية فرصة أمامهم بإلقاء الأسئلة على العلماء والفقهاء أمام جماهير  
الناس وكلّهم تلاميذ يريدون الإفاحة من أسانئهم ، دون أن يخالف  
الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمعمة للأخذ عن هؤلاء العلماء  
أو الفقهاء ، كانت الأسئلة تدور حول مشكلات الدين أو تفسير

بعض الآيات التشابهية في القرآن الكريم واختلاف التفسيرين فيها ، ويأخذ الداعي الكاسر في مجادلة هؤلاء العلماء والفقهاء ومناقشته مناقشة طوية عنيفة حتى يظهر عجز العالم عن الجواب الصحيح ، أو تبدو منه أخطاء فيضطر منه الداعي الكاسر ويتركه ، وهنا يظهر الشك على كل ضعيف مترزع العقيدة من الجماهير ، فيسرع إلى الداعي الكاسر يلتصق منه الجواب الشاق من هذه الأسئلة التي طرحها والوضوحات التي ناقش فيها العلماء ، فلا يجد عند الكاسر سوى أسئلة أخرى تحير ، وتريد في ترزع عقيدته ، والكاسر لا يفصح عن شيء ويشكر معرفته بالجواب في أول الأمر ، كانت أسئلة الداعي الكاسر مما لا يمكن أن يجيب منها أحد ، فتتلا : لم خلق الله العالم في ستة أيام ؟ ولم جعل الله السموات سبعاً ولم يجعلها أكثر أو أقل من ذلك ؟ لم وجب القتل من النني مع طهارته ، والاستفجاء من البول مع نجاسته ؟ ما معنى الحروف التي في أوائل السور ؟ ومن هم حملة العرش الثمانية ؟ فهذه أسئلة لبعض تلك الأسئلة التي كان يوجهها الداعي الكاسر إلى العلماء وكأنه يريد أن يستفيد منهم ، ويوجهها إلى الناس وكأنه يشك في الحقيقة . وواضح أن الداعي الكاسر كان يختار اختياراً خاصاً ، ولا يسمح له بالكسرة إلا بعد امتحان مسير وتجارب كثيرة ، ونجد بعض كتب الاساهيلية تؤلف في اختيار الداعي الكاسر والشروط التي يجب أن تتوافر فيه

والحصول التي يجب أن يتحلى بها ، من ذلك أنه يجب أن يكون من نفس البيئة التي سيكسر فيها ، ولد ونشأ بها حتى يكون سروقاً عند الجمهور ، ويجب أن يكون حسيباً ونسياً بين قومه ، فالجلب والنسب يكسيانه بعض الاحترام ، وأن يكون سروقاً بالمصدق والأمانة والتي والنورح ، فهذه الصفات تزيد احتراماً بين قومه ، فإذا وثق داعي الجزرة في شخص يتحلى بكل هذه الصفات بدأ في تعليمه العلوم الإسلامية حتى يتبحر فيها ، فإذا فرغ من ذلك ، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل اللل والتحل كلها من فرق إسلامية وغير إسلامية ، ويبرز له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأى ، ثم يملئه كيف يحادل في اختلاف هذه الآراء وكيف يناقش أصحابها ، فإذا تم له ذلك يبدأ الداعى في تدريسه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس إليه ، فإذا أتيقن الشخص كل هذه الأمور وتدرّب عليها ، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعى أن يكسر الفرق الأخرى دون أن يشعر أحداً بأنه اسماعيلي المذهب بل يجب أن يكتم ذلك كتماناً تاماً ، ويستر مذهبه وعقيدته سترأ تاماً حتى لا يظن أحد إلى ما يرى إليه أو يشك فيه أحد ، كان عليه أن يتظاهر أمام جمهور أهل السنة بأنه سنى متعصب ، ويتظاهر أمام أهل الشيعة بأنه شيعى متطرف ، وأمام الصوفية بأنه من الأقطاب ، وأمام السبعين



بأنه منهم ، وهكذا كان يخاطب كل قوم حسب عقيلتهم ومذهبهم وعقليتهم ، ولذلك يجب أن يكون الكاسر ذكياً ذا فراسة حتى لا يخطئ في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم ، فلذا فرض وجود الكاسر أمامه خصما عنيدا أكثر منه علماً وتبحراً في مختلف الفنون ، فكان على الكاسر أن يلج في السائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل معه في مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الاسماعيلية التي لا يعرفها غير الدعاة . وبذلك فقط يتجو الكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة ، بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ولا يعرفون كتبها ، هكذا كان شأن الداعي الكاسر أو « الداعي السكالب » الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الاسماعيلية للدعاة ، فإذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا في سهولة أن ندرك ما كان عليه أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم .

إذا نجح الداعي الكاسر في تشكيك شخص من الأشخاص ، وكان هذا الشخص ممن يريدون الوصول إلى معرفة الحقيقة ، صادقه الداعي الكاسر مدة ، وألح عليه في التشكيك حتى يزعمه نهائياً عن مذهبه ، وأخيراً يتلطف به الداعي ، ويعلن له أنه سيرفده عن حنده علم الحقيقة ، ثم يفرقه مدة نهب الأفكار والآراء ، ويحاول الداعي الكاسر أن يخلق عنه طوال هذه المدة ، ثم

يذهب إليه بعد ذلك ويأخذه إلى أحد الدعاة الذين هم أرق منه  
 مهنية ، ويصفه له المكسر بأنه العالم الخبير الذي على يده يزول  
 الشك من النفس لقرارة علمه وسعة اطلاعه وحيد خلقه ، فيتقرب  
 هذا الداعي إلى الشخص ويلاحظه حتى يطمئن إليه ويأخذ في  
 التحدث إليه في رفق وبخاتمة في ثين دون أن يظهر له صفته  
 الذهبية أو شيئاً من عقائده ، بل يكتفي بأن يفسر له بعض  
 المشكلات والمسائل الذهبية تفسيراً هو أقرب إلى آراء أهل الجماعة ،  
 ويطلع له ببعض التأويلات الباطنية التي لا خير من كشفها  
 وذيوها ، فإذا رأى هذا الداعي منه إصراراً على الوصول إلى  
 معرفة الحقيقة كاملة ، ورغبة في التزود بمثل هذه التأويلات الباطنية  
 أحاله إلى الداعي الأذنون وهو من دعة الليل الذي يبدأ بأخذ  
 العمود والمواثيق المؤكدة عليه بأن لا يفشي سراً ، ولا يطلع على  
 آرائه أحداً من الناس ، فإذا وثق به بدأ بكشفه بعض الأسرار  
 الخفيفة التي لا يزعج منها أحد ولا ينفر منها مؤمن ، ولا يزال  
 يتدرج به من رأى إلى رأى ومن مسألة إلى مسألة ، حتى يطمئن  
 الداعي الأذنون إليه تمام الاطمئنان ، ويطمئن المستجيب إلى  
 الداعي ، عندئذ ينقله إلى الداعي الذي هو أرق منه رتبة ، فيبدأ  
 بأن يصرح له بأسرار أشد تعقيداً ، وهكذا يتدرج المستجيب  
 بين الدعاة حتى يسمح له أخيراً بحضور مجالس داعي دعة الجزيرة  
 وهو كبير دعاها الذي كان له وحده الحق في أن يعلم الناس

التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث ، كما كان له الجنى في تعليم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية ( أى علم الحقيقة ) فإن سمح للمستجيب أن يستمع إلى محاضرات داعى دعاة الجزيرة فقد هبأ نفسه بذلك لأن يكون داعياً ، حقيقة كان داعى دعاة الجزيرة يلقى أحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والوالتين دون أن يصلوا بعد إلى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الأسرار الاسماعيلية العليا .

هكذا نظم الاسماعيلية دعائهم تنظيمًا دقيقًا جداً بأن جعلوا لكل داعية عملاً خاصاً لا يتعداه ، واختاروا هؤلاء الدعاة اختياراً دقيقاً وأعدوهم هذا الإعداد حتى يستطيعوا أن يقوموا بما عهد إليهم ، وإيماناً منهم في تكريم الدعاة وإسباغ الثواب عليهم أطلقوا عليهم « حدود الدين » الذين يجب أن يعرفهم ويترالاهم جميع المؤمنين ، بل قالوا إن اللائكة هم هؤلاء الدعاة ، ولذلك قال أحد شعرائهم من الدعاة :

أنا آدمى في الرواء حقيقى مَسَكْتُ تَبِينَ ذاك للمسترشد  
وقال اللؤيد في الدين داعى الدعاة أيضاً :

وروائى جسم ومحصل جسمى مَسَكْتُ دونه الخلوب الجسم  
فأنت ترى الشاعر يعبّر عن حقيقة نفسه حسب عقيدته ومرتبته في الدعوة بأن مظهره مظهر آدمى ، ولكنه من اللائكة في الحقيقة ، وهذا بالطبع مما ذهب إليه العقيدة الاسماعيلية .

أما الدعاة الذين يكونون « القيادة العليا » للدعوة ، والذين يكونون حول الإمام الأسماعيلي داعياً ، فإن الإمام يختار من دعاة الجزائر أقوامهم بناتاً ، وأسندهم جناتاً وأغزدهم علماً ، فيجعله في مرتبة « داعي الدعاة » فيكون هو ذلك لجامعة الدعاة ، وإليه الإشراف على الدعوة في جميع الجزائر ، وهو الواسطة بين دعاة الجزائر وبين الإمام ، فداعي الدعاة إذن لا يستر بل هو معروف بين الدعاة جميعاً وبين رجال حاشية الإمام في أدوار السر والظهور ، لأن مرتبته ليست من الراتب السري ، وكان عليه أن يعقد مجالس الحركة التأويلية على اختلاف درجاتها ، فكانت هناك مجالس تعقد للخاصة ، وأخرى للعامة ، ومجالس تعقد للنساء وهكذا ، ويذهب المقرري إلى أن مرتبة داعي الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية في مصر ، بمعنى أن هذه الدولة هي التي جعلت وظيفة عمومية هامة للدعاة الذهبية دون غيرها من الدول ، والمقرري على حق في هذا القول لأنه لم يحدث في دولة من الدول في التصور الوسطي أن يخص مثل هذا المنصب للدعاة في داخل الدولة وفي خارجها .

ومع مرتبة داعي الدعاة كانت هناك مرتبة أخرى هي مرتبة « الحجة » ويقال لصاحبها « حجة الإمام » وكان الإمام أحياناً يولي مرتبة داعي الدعاة ومرتبة الحجة لشخص واحد ، فقد كان التوفد في الدين هبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ داعياً للدعاة وحجة في

الوقت نفسه ، وأحياناً أخرى كان يجعل كل مرتبة لشخص ،  
وفي هذه الحالة يستراسم صاحب مرتبة المحبة فلا يعرفه أحد حتى  
تأخى الدماء نفسه . فالمرتبة إذن مرتبة سرية في أغلب الأحيان ،  
ولذلك لم نعرف سوى أفراد قلائل ممن شغل هذه المرتبة طوال  
تاريخ الاسماعيلية ، وهناك مرتبة سرية أخرى هي مرتبة « باب  
الأبواب » ولا يعرف شاغل هذه المرتبة إلا الإمام فقط ، وقد  
وصف أحد علماء الاسماعيلية هذه المرتبة بقوله « وحد الباب هو  
من الحدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة  
ولا ينتهي إلى ذلك إلا الآحاد والأفراد » أي أنه يصرح بأنه في  
تاريخ الاسماعيلية الطويل لم يصل إلى هذه المرتبة إلا أفراد قلائل  
يسدون بالآحاد ، ويقول عالم آخر « باب الأبواب هو باب صاحب  
الزمان الذي يؤتى منه إليه وجهته على انطلق وحامل علمه وصاحب  
دعوته » فمرتبة باب الأبواب أو « الباب » فقط مرتبة رفيعة تلي  
مرتبة الإمام الدينية مباشرة ، وهي مرتبة سرية ، وإلى الآن  
لم يكشف عن أولئك الذين شغلوا هذه المرتبة ولا عن العمل الذي  
كانوا يقومون به ، غير أن الداعي أحمد حميد الدين الكرمانى  
ذكر في كتابه « راحة العقل » هذه المرتبة في ترتيب مراتب  
الدعوة فقال « الباب وله مرتبة فصل الخطايا » ولم يفصل شيئاً  
أكثر من ذلك .

ونحيل إلى أن مرتبة باب الأبواب أخفت من كتابات

ابنوميس أحد كتاب الأدب الكنتى فى القرن الرابع الميلادى  
 الذى قال « إن عيسى باب معرفة الله » أو من قول الشيعة إن  
 النبى صلى الله عليه وسلم قال « أنا مدينة العلم وعلى بابها » ، ومنها  
 يمكن من شىء فإن هذه الرتبة لا تزال غامضة إلى الآن . ومثلها فى  
 ذلك أيضا مرتبة أخرى هى مرتبة « داعى البلاغ » التى قبل إنها  
 مرتبة الاحتجاج بالبرهان فى إثبات الحدود العلوية ومراتبها وتعريف  
 المعاد ، فهى من المراتب السرية التى فى مركز القيادة العليا ،  
 ولم يفصل مؤرخو الاسماعيليه وعلمائوها أمر هذه المرتبة .

وعلى ذلك نستطيع أن نرتب مراتب كبار الدعاة الذين كانوا  
 يلزمون مقر الإمامة على النحو الآتى :

أولاً : مرتبة باب الأبواب ، وهى أعلا المراتب كلها وهى  
 مرتبة سرية .

ثانياً : مرتبة الحجة .

ثالثاً : مرتبة داعى البلاغ .

رابعاً : مرتبة داعى الدعاة أو الداعى المطلق : وهى أعلا  
 مرتبة ظاهرة .

هذه مراتب الدعاة فى النظام الاسماعيلى الذى وضع للدعاية ،  
 وقد اجتهدوا أن لا يختلوا بلد من دعاتهم حتى إن المزلدين الله  
 الفاضلى قال : إن أكثر الناس يجعلون أمرنا ولا يظنون أنا

لأنني إلا بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ، ولو كان ذلك لسكننا قدماً  
 نصيبنا من بعدنا ، وقد أوجب الله على جميع خلقه ولا يتنزل  
 ومعرفتنا واتباع أمرنا والمهجرة والسبي إلينا من قرب ومن بعد ،  
 ولسكننا للرفقة بهم ولما أرجوه ونحبه من هدايتهم قد نصيبنا  
 بكل جزرة لهم من يهديهم إلينا ويدلم علينا . وبفضل هذا  
 التنظيم انتشرت الدعوة الاسماعيلية في جميع الأقاليم وبين كل  
 الطبقات ، وقوى نفوذ الاسماعيلية في بعض البلاد على نحو  
 ما ذكرناه من قبل ، كما أننا تحدثنا عن لون آخر من ألوان الدعاية  
 فإن الإمام الفاطمي كان يستدعي أبناء كبار رجال الدولة ووجوهها  
 ليقبضوا معه في القصر ، ويربهم تربية خاصة حتى إذا أصبحوا  
 في مقام الرجال ولأتم الإمام الإمارات والولايات ، أو استعان بهم  
 في مهامه ، وبذلك استطاع أن يطمئن إلى ولاء هذه الإمارات  
 والولايات له دائماً وعدم الخروج عن طاعته ، فإن هؤلاء الولاة  
 كانوا بمثابة أبناء الإمام بما غرسه فيهم من تعاليم منذ الصغر  
 فنشأوا على حبه وطاعته .

أما النظام الذي وضعه الحسن بن الصباح لدعوته الجديدة

فكان ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول الخاص بالدعاية الدينية فهو شبيه إلى حد بعيد  
 بما كان عليه أيام الفاطميين بمصر ، ولكن عدد الدعاة تقلص  
 وتقص بأن جعل « الشيخ » في مرتبة داعي الدعاة وله ثلاثة

تواب فقط في الجبل وخوزستان والشام ، ومع كل غائب عدد غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للمقيدة الاسماعيليه الزارية .

أما القسم الثاني فهو خاص بالفدائيين ، وهؤلاء كانوا يتبعون شيخ الجبل نفسه مباشرة ، كانوا شبه حرس خاص له وهو في الوقت نفسه قائدهم الأعلى يثقون منه الأوامر مباشرة ، ولكلهم على ثلاث درجات : أولا ، مرتبة الرفاق وهم أشبه شيء برؤساء الفرق الذين كانوا يدربون الفدائيين ويشرفون على حاجياتهم ومطالبهم ، والمرتبة الثانية هي مرتبة الفدائيين وهم المجددون للقيام بما يأمرهم به شيخ الجبل بعد أن تم تدريبهم وأظهروا استعدادهم للتضحية في سبيل إمامهم ومذهبهم ، أما المرتبة الثالثة فهي مرتبة المستجيبين وهم الذين في دور التدريب والتعليم وهؤلاء كانوا من الشبان الذين لا يزيد عمر الواحد منهم على عشرين عاما ، وهؤلاء كانوا في صغرهم يدربون يشرف شيخ الجبل في قصره .

ونفس هذا النظام الذي وضعه ابن الصباح في فارس طبقه شيوخ الجبل في بلاد الشام ، وساروا على نهجه .

أما الآن فالاسماعيليه البهرة يحملون في كل بلد من البلدان التي فيها جماعة منهم رجلا من رجال الدين الذين تخرجوا في « الجامعة السيفية » بمدينة سورات ، ويطلقون عليه لقب « عامل » وهو الذي يجمع من الطائفة « الخس » أي خس



ما يكسبه كل إسماعيلي سنوياً ، « الحقة فطرة » أى الهدايا التي تقدم للداعي المطلق بمناسبة عيد الفطر . أو غيره من المناسبات ، ويقوم على كل شئونهم الدينية من زواج وطلاق وسلاة . . الخ . وللإسماعيلية الزارية كذلك داعية . في كل مجتمع يعيشون فيه يطلقون عليه لقب « السكي » وهو يقوم أيضاً بما يقوم به « البامل » عند طائفة البهرة ، ولا وجود للفتدائين الآن ولا للنظام السرى الذي كان معروفاً من قبل ، واختفت ألقاب وصراتب الدعوة القديمة ولم يبق منها سوى لقب الداعي المطلق الذي للداعي البهرة ، وألحق أن اختفاء الألقاب عند الإسماعيلية الزارية كان منذ قيام الحسن بن الصباح بدعوته في فارس ، إذ اضطره نظامه الجديد إلى بعض التغييرات في العقائد والنظام الاجتماعي والسياسي ، وقد قام صراع بين التيارات المذهبية الإسماعيلية القديمة بما فيها من مصطلحات عربية ، وبين المصطلحات الفارسية الجديدة التي أتى بها ابن الصباح ، وهي مصطلحات متأثرة إلى حد بعيد بالمصطلحات الصوفية ، فاختفت درجات الدعاة التي كانت في عصور دور السرف في العصر الفاطمي مثل الحجة وداعي الدعاة وداعي البلاغ . . الخ ، وأصبح لقب « بير » بدلاً من الحجة ، ولقب « مُلّا » أو « آخوند » بدلاً من الداعي . وبعد النزول انشقت الإسماعيلية في آسيا الوسطى والهند ، وأصبح عبء جمع شمل الطائفة يقع دائماً على البير ، ولذلك لا ندهش أن نجد

« البير » كان عادة أقرب القرين إلى الإمام إن لم يكن من أقرب أقاربه إليه وأنه جوهر الإمامة ، تقول ذلك بالرغم من العلومات الضئيلة التي وصلتنا عن النزارية بعد نشأتهم على أيدي القول ، فإن المؤلفات الاسماعيلية عن تلك الفترة لم تصل إلينا ، ويطلب على الظن أن نشاط الدعوة لنشر الدعوة الذهبية قد انتهى تقريباً ، وكرست الجهود إلى إقصاد بقايا الاسماعيلية ولم شعثهم ، أما الاسماعيلية في فارس فإن حكم الصفويين الذين اتخذوا عقيدة الشيعة الاثني عشرية مذهباً رسمياً للدولة فلا نعرف عن نظمهم شيئاً إلا أن « البير » كان في زوى الصوفية وأنه كان يخلط التعاليم الاسماعيلية النزارية بالأراء الصوفية .

## الفصل الثامن

### عقائد الاسماعيلية

---

لملك لاحظت مما سبق أن العقائد الاسماعيلية كانت السبب الأول لظهور طائفة الاسماعيلية ، فلولاً أن فريقاً من الناس اجتمعوا على رأي في الإمامة يخالف ما قال به الآخرون ، ودعوا إلى رأيهم هذا بالوسائل والطرق السرية التي أشرنا إليها ، لولا ذلك كله ما وجدت هذه الفرقة ، وكان الخلاف في أول الأمر بسيطاً لا يبدو أن يكون حول الإمامة ، ولكنه استفحل بعد ذلك ، وبعض الزعم أدخلت آراء جديدة وأصول للعقيدة تبعدها كانت عليه الطائفة قبل خروجها من حلبة التشيع العامة ، وسأحدث الآن عن عقائد الاسماعيلية بعد أن تليورت ووضع فيها عقاء الدعوة كتباً عرفت باسم « كتب الحقيقة » ، ولكنني قبل أن أتحدث عن هذه العقائد أرى أن أشير إلى عدة نواحي رئيسية هامة في دراسة العقائد الاسماعيلية ، فأول ما يكون من ذلك أن المباداة الملحية ( أي علم الظاهر وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه ) والمباداة الملحية ( أي علم الباطن من تأويل وغيره ) والنحل العليا للتقنيات الاجتماعية ، والنحل العليا للإدارة السياسية ،

هذه كلها كانت عند الاسماعيليه من صميم العقائد ، وكل من هذه  
النقط الأربع الرئيسية في حياة الاسماعيليه متداخل في الأخرى  
تداخلا كلياً ، وتعتمد كل واحدة على الأخرى اعتماداً تاماً بحيث  
أصبح من الصعب أن تفرق بينها أو أن تتخذ نقطة واحدة منها  
على أنها عقيدة الاسماعيليه ، ولذلك أخذنا القدماء في إطلاق لقب  
«الباطنية» على فرقة الاسماعيليه ، لأن هذه الفرقة تدّين بالباطن ،  
والاسماعيليه يقولون بالباطن حقاً ولكنهم يقولون بالظاهر أيضاً ،  
وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن معاً ، بل كفروا من اعتقد  
بالباطن من دون الظاهر أو بالظاهر من دون الباطن ، وفي ذلك  
يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي « من عمل بالباطن  
والظاهر معاً فهو منا ، ومن عمل بأحدهما دون الآخر كالكلب  
خير منه وليس منا » . فالاسماعيليه لا يقولون بالباطن فقط كما وهم  
القدماء ، بل إن الظاهر أساس من أسس عقيدتهم أيضاً . وقد  
وأبنا تنظيمهم الدماية التي تنقلت في نظمهم الاجتماعية والساحية  
فأصبحت نظمهم تتوقف على معرفة الظاهر والباطن ، كما تتوقف  
الظاهر والباطن على تلك النظم ، غير أن تطور الأحوال الاجتماعية  
والسياسية بمرور السنين وتغيرها حسب مقتضى الحال جعل  
العقيدة الاسماعيليه متطورة أيضاً ، بل اختلفت العقيدة الاسماعيليه  
في كل قطر عما هي عليه في قطر آخر في الوقت الواحد ، ففي  
زمن واحد نستطيع أن تبين عقائد مختلفة متعارفة تنسب كلها

إلى الانبعاثية ، وهذا الاختلاف عندي هو نتيجة لما كان يذمه  
 العامة المختلفون في البلدان المختلفة ، فهما أخذ هؤلاء العامة من  
 مصدر واحد ، فلا شك أنهم مختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً  
 بحسب شخصية كل واحد ، وحسب مقدار فهمه للعقائد  
 أو تأويله الباطني للأمور الدينية كانوا مختلفين في تفاهتهم ،  
 ومختلفين في عقليتهم ، أضف إلى ذلك اختلاف المجتمعات التي  
 يعيشون فيها ، فمنهم من كان يدعو بين الدهاء والسذج ، ومنهم  
 من كان يدعو بين جمهور مثقف متحضر ، فكان لابد أن نجد  
 اختلافاً بين هؤلاء العامة فيما كانوا يذيعونه على الناس ، ولقد كرر  
 على سبيل المثال لا الحصر أن الداعي النخشي - وكان من العامة  
 في الدولة السامانية وقتل سنة ٣٣١ هـ وضع كتاباً في فلسفة  
 العقيدة الاسماعيلية سماه كتاب « المحصول » ، وفي نفس الوقت  
 وضع الداعي أبو حاتم الرازي الداعي ببلاد الديلم كتابه « الإصلاح »  
 خالف فيه آراء زميله النخشي مخالفة تامة ، ثم جاء الداعي  
 أبو بلقوب السجستاني وكان ببخارى وقتل سنة ٣٣١ هـ وألف  
 كتاب « التصرة في شرح مآقاله الشيخ الحامد في كتاب المحصول »  
 انتصر فيه للداعي النخشي وخالف زميله أبا حاتم الرازي ،  
 ولكنه أتى بآراء جديدة لم ترد عند الشيخين السابقين ، ثم جاء  
 بعده داعي المراقين وأكبر فلاسفة الدعوة الانبعاثية على  
 الإطلاق وهو حيد الدين الكرمانى الموفى بعد سنة ٤١١ هـ

فألف كتابه « الرياض » حاول فيه التوفيق بين كل هذه الآراء المختلفة ، فظاهر إذن اختلاف هؤلاء الدعاة الذين ذكرناهم وهؤلاء بمدون شيوخ الدعوة وكبار علمائها في القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس من الهجرة ، وعلمهم أخذ غيرهم من الدعاة والعلماء ، فإذا كان شيوخ الدعوة أنفسهم قد اختلفوا على هذا النحو فإذا تحول عن الدعاة الآخرين ، وإذا قرأنا كتب هؤلاء الدعاة وقرأناها بما كتبه جعفر بن منصور الهيم أو ما كتبه القاضي النعمان بن محمد بن حيون القرني سنجد خلافاً شديداً جداً بين ما قاله هؤلاء الدعاة الذين كانوا في قرس وبين العلماء الذين كانوا مع الأئمة في بلاد الغرب ، وإذا قرأنا بين آراء هؤلاء الدعاة والعلماء جميعاً وبين ما كان يدعو إليه ابن حوشب اللقب بمنصور الهيم في بلاد الهيم ولا سيما فيما جاء في كتاب « الكشف » أو في « رسالة الرشد والهداية » سنجد اختلافاً آخر ، هذا كله يدل على أن عقائد الاسماعيلية تختلف من بلد إلى آخر ، ومن زمن إلى زمن . ونسوق مثالا آخر للتدليل على ما ذهبنا إليه ، فهناك بعض أقوال وردت في كتاب « المجالس والسيرات » — التي جمع فيه القاضي النعمان بن محمد ما سمعه أو شاهده عن الإمام المرزوقين الله الفاطمي — وهذه الأقوال إن دلت على شيء فإنما تدل على مقدار غضب الإمام المرزوق على بعض الدعاة الذين غالوا في الأئمة ، فقد جاء أحد دعاة في جزيرة قرس في

وسأل الداعي إمامه عن أمر من أمور الدين ، فلما أجابه المرز قدس الله أظهر الداعي شيئاً من الدهشة بدت على وجهه ، فسأله المرز عن سبب ما اعتراه ، أجابه الداعي بأن الاسماعيلية في فارس يقولون برأى آخر يخالف ما ذهب إليه الإمام نفسه ، وذكر الداعي ما عليه الاسماعيلية في جزيرة فارس ، فاستعظم المرز حينئذ أن يقول أتباعه بهذه المقالة الشنيعة واستنكرها .

مثال آخر نسوقه لطرافته ، ذلك أن الدعاة في مصر في عهد المرز قدس الله وعهد المرز بن المرز أذاعوا أن الأئمة يعرفون الغيب ، وأنهم يعرفون حركات النجوم والكواكب ومنها يستطيعون معرفة ما يريدون معرفته ، ثم إن عندهم كتاباً يسمى « بالجفر » ووردت عن الإمام جعفر الصادق يستطيعون به معرفة هذه النيبات ، حتى إن أحد علمائهم وهو جعفر بن منصور الثمين وضع لهم كتاب « القترات والقمرانات » فيه ما يعلمون به الغيب ، أذاع الدعاة ذلك كله فاقسم الناس في مصر بين مصدق ومكذب ، ومنهم من سخر من معرفتهم الغيب هذه ، حتى إن المرز بالله صعد للتبر يوم حجة ليخطب الناس على عادة الأئمة الفاطميين فوجد على المنبر ورقة كتب فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالعسكر والحاقة  
إن كنت أعطيت علم لحب . قل لنا كاتب البطاقة

فهنا يدل على ما كان بين المجتمع المصري في ذلك الوقت من  
 تبلل في الفكر حول سرفة الأئمة للنيب ، واستشارتهم النجوم  
 لمعرفة المستقبل ، هذه البلبلة التي صورها الشاعر الأمير تميم  
 ابن المزدين الله الفاطمي نفسه في إحدى قصائده وفيها يقول  
 مخاطباً الإمام العزیز :

لما اختلفنا في النجوم وعلما	وقى أنها بالنفع والضرب قد تجري
فمن مؤمن منا بها ومكذب	ومن مكتر فيها الجدال ولا يدرى
فلمننا تأويل ذلك كله	ينافيه من سر وما فيه من جهر
وأخبرتنا أن للنجم كاهن	بما قل، والكهان من شعبة الكفر
وإن جميع الكافرين مصيرهم	إلى النار في يوم القيامة والحشر
فجئتنا بعد اختلاف وريبة	وألقنا بعد التنازع والزجر
وأوضح فيها قول حق مبرهن	يجلي غلام الشاك من كل ذي فكر
فعدنا إلى أن الكواكب زينة	وفيها نجوم للشياطين إذ تسرى
مسخرة مضطرة في بروجها	تسير بتدبير الإله على قدر
وأن جميع النيب لله وحده	تبارك من رب ومن محمد وور
وما علمت منه الأئمة إنما	رووه عن المختار جدم الطهر
فناظم هذه الأبيات ابن إمام من أئمة الاسماعيلية ، وأخو	
إمام من أئمتهم ، وكأنت تقول إلية الإمامة لولا بعض الأمور	
أخذها عليه أبوه ، ومع ذلك فكان من الذين حذروا في أسر معرفة	



الأئمة الغيب ، واستطلاع ذلك من حركات الكواكب والنجوم ، إلى أن جلاها له أخوه المرز ، وأزعم أن رجوع الإمام المرز عن ادعاء معرفة الغيب إنما ترجع إلى شخصية المصريين فلولا كثرة فكاهاتهم وتندروهم بالأئمة الاسماعيلية في هذه المقالة ما رجع المرز عنها ونظاها عن الأئمة بالرغم مما كتبه الاسماعيلية في ذلك قبل استقرار الأئمة بمصر ، فالتسكت المصرية اللاذعة التي أقول إنها سلاح من أسلحة مقاومتهم ، كانت من المواصل القتالة في تغيير العقيدة الاسماعيلية وتطورها في مصر بحيث أصبحت عقائد الاسماعيلية في الدور القاطن المصري تختلف اختلافاً ملحوظاً عن عقائد الاسماعيلية في اليمن أو في فارس في نفس هذا العصر . ومادام الأمر كذلك في اختلاف العقيدة الاسماعيلية فالحديث عنها ليس سهلاً ميسوراً مثل الحديث عن العقائد الثابتة ، ومع ذلك كله فهناك بعض أصول اتفق عليها الاسماعيلية جميعاً منذ وجدت الاسماعيلية إلى الآن ولم يختلف فيها اثنان ، فمن هذه الأصول القول بضرورة وجود إمام معصوم منصوب عليه من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، والنص على الإمام يكون من الإمام الذي سبقه بحيث تتسلسل الإمامة في الأقطاب ، أي أن ينص الأب على إمامة أحد أبنائه . هذا الأصل هو مبدأ وجود طائفة الاسماعيلية ، فكما ذكرنا من قبل كان هذا هو المبدأ الذي انشقت بسببه الاسماعيلية عن الشيعة عقب وفاة جعفر الصادق ،

والاعتراف أكثر شيعة بإمامة ابنه موسى الكاظم ، فقد أبا بعضهم الاعتراف بإمامة موسى ، ونادوا بإمامة محمد بن إسماعيل لأنه في نظرهم صاحب النص . ومن الغريب أن آئمة الاسماعيلية أنفسهم لم يحترموا هذا الأصل الأساسي من أصول المنيقة ولم يتقيدوا به لافي المصور القديمة ولا في عصرنا الحديث ، فالمرزقين الله نص على ولاية ابنه عبد الله من بعده ، ولكن عبد الله توفي في حياة أبيه ، فنص المرزق مرة أخرى على ولاية ابنه المرزق ، تخالف بذلك الأساس الذي قامت عليه الطائفة الاسماعيلية في أن الإمام لا تنتقل من أخ إلى أخ إنما تنتقل من أب إلى ابن ، وفي عصرنا الحديث نص أبا خان الثاني على إمامة ابنه شهاب الدين شاء ، ولكن شهاب الدين توفي في حياة أبيه فنص أبا خان الثاني على ابنه الذي تولى الإمامة وعرف بأبا خان الثالث ، وقد رأينا أبا خان الثالث يحرم ولديه على خان وسدر الدين خان من الإمامة وينص على حفيده « كرم » الذي لقب بأبا خان الرابع وهو الإمام الحالي للطائفة ، وهذا كله يدلنا على أن هذا الأصل من أصول المذهب الاسماعيلي أصبح نظرياً فقط بمجرد أن أصبح للاسماعيلية دولة سياسية وتدخلت التنظيمات السياسية في العقيدة فكيفتها حسب ما أمكنه الظروف السياسية .

وبالرغم من خروج الآئمة أنفسهم على مبدأ « النص على الإمام » لأمر اقتضتها الاعتبارات السياسية ، فالإمامة كانت

ولا تزال الأمور التي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية والفلسفة الاسماعيلية ، ذلك أنهم جعلوا ولاية الإمام الركن الأساسي لجميع أركان الدين ، فدعاهم الدين عندهم منذ أول أمرهم وفي الدور الفاطمي بمصر وعند طائفة البهرة اليوم هي الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والولاية ، على أن الولاية هي أفضل هذه الدعائم ، فإن أطاع الإنسان الله تعالى ورسالة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقام بأركان الدين كلها وعصى الإمام أو كذب به فهو آثم في مصيئته وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول ، ويقول في ذلك القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي في كتابه « دعائم الإسلام » ، وهو أقدم كتاب في فقه المذهب الاسماعيلي : « دينا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سئلت الله عليه أنه سئل ما الإيمان وما الإسلام ، فقال : الإسلام الإقرار ، والإيمان الإقرار والمعرفة ، فمن عرفه الله نفسه ونبيه وإمامه ثم أقر بذلك فهو مؤمن » كما وضع الاسماعيلية كتباً كثيرة تدور كلها حول نقطة واحدة هي أن من أطاع الإمام فقد أطاع الله ، ومن عصى الإمام فقد عصى الله ، وأن بالإمام يبعد الله وبه يطاع الله وبه يعصى الله . فولاية هي طاعة الإمام ومعرفة ، ومن الحق أن نقول إن هذه العقيدة في ولاية الإمام ليست مقصورة على طائفة الاسماعيلية ، إنما يقول بها الشيعة الاثني عشرية ، كما قال بها غلاة الشيعة ، لجميع فرق الشيعة على اختلاف آرائها وتباين عقائدها توجب ولاية الإمام ، وتفسر الآية القرآنية الشريفة « وأطيعوا الله وأطيعوا

الرسول وأولى الأمر منكم » بأن أولى الأمر هم الأئمة ، ولكل فرقة من الفرق إمام يحملون إليه هذا التفسير ، وحاولت كل فرقة أن تثبت الإمامة في أئمتها من دون أئمة الفرق الأخرى ، بل كثيراً ما هاجمت فرقة قول الفرق الأخرى في ولاية الإمامة ، مثل محاولة طائفة الاسماعيلية الحكم بفكرة دخول الإمام محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر للشيعة الموسوية ( الاثني عشرية ) السرداب ، وأنه سيقبل بهذا السرداب حتى يخرج يوم القيامة ، كما طعن علماء الشيعة الاثني عشرية في أئمة الاسماعيلية وطعن الاسماعيلية والاثنا عشرية في أئمة الثلاثة ، ومما يكن من شيء فإن عقيدة الإمامة أقدم من وجود الاسماعيلية ، وتشترك فيها جميع فرق الشيعة ، ومن هنا جاءت الآراء الشيعة عن الإمامة واحدة تقريباً ، فهم يفسرون بعض الآيات القرآنية بأن القصد بها الأئمة من أهل البيت ، فقولهم تعالى « إنا أنزلنا من قبله قرآن هاد » وقوله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » فهذه الآيات وغيرها وردت عن الأئمة من أهل البيت ، يشترك في هذا القول الاسماعيلية والاثنا عشرية ، ولكن الاسماعيلية جعلوا للأئمة صفات لم تعرفها فرق الشيعة الأخرى ، وهي صفات باطنية بحيث أصبح الأئمة عندهم في مرتبة لا تمت إلى البشرية بصلة . بالرغم من إلحاح كتائب الاسماعيلية في القول بأن الأئمة من البشر وأنهم خلقوا من الطين

وضرخون للأسماء والآفات واللوث مثل غيرهم من بني آدم ،  
 ولكننا نجد في تأويلاتهم الباطنية أن الإمام هو « وجه الله » ،  
 « ويد الله » « وجنب الله » وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم  
 القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار ، وأنه هو « الصراط المستقيم »  
 و « الذكر الحكيم » . والقرآن الكريم « إلى غير ذلك من  
 الصفات ، ولم في ذلك كله أدلة يمدقونها لكل صفة من  
 الصفات ، فتثلاً يقولون : إن الإنسان لا يعرف إلا بوجهه ، ولما  
 كان الإمام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فيه إذن يعرف الله ،  
 فهو وجه الله ، أي الذي به يعرف الله ؛ وأن البديهي التي يبطش  
 بها الإنسان ويدافع بها عن نفسه ، والإمام هو الذي يدافع عن  
 دين الله ويبطش بأعداء الله فهو على هذه الثابتة يد الله ، وهكذا  
 نقول من بقية الصفات التي خلصوها على الإمام ، ولكن الاسماعيلية  
 الذين تحدثوا عن الإمام على هذا النحو ، وعن الله سبحانه وتعالى :  
 تراهم قد جردوا الله سبحانه وتعالى من كل صفة وزهوه التنزيه  
 كله ، فتوحيد الله عندهم هو بأن ينفي عنه سبحانه جميع ما يليق  
 بعبادته التي هي الأعيان الروحانية — ومخلوقاته — التي هي الصور  
 الجسدية — من الأسماء والصفات ؛ وأن نفي المعرفة هو حقيقة  
 للمعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة ؛ فأسماء الله الحسنى التي  
 نسبها الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم لا يقال لله تعالى ، بل  
 جعلوها للعقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة ، ووصفوا العقل

الكلّي بكل صفات الكلّي على نحو ما ذكره الفلاسفة الأقدمون  
عاماً ، وسبقوا هذه الآراء والأقوال القديمة بالصيغة الإسلامية ،  
فنسبوا أسماء الله الحسنى إلى العقل الكلّي ، وأطلقوا على العقل  
الكلّي أيضاً اسم « البدع الأول » وأن هذا البدع الأول  
أو العقل الكلّي هو الذي رمز إليه الله تعالى « بالقلم » في الآية  
القرآنية « نون والقلم وما يسطرون » وعلى هذا فالقلم أو البدع  
الأول أو العقل الكلّي هو الخالق المصور الواحد القهار ، الجبار ،  
العزيز ، اللّذل ، العليّ القدير .. الخ ، وأنه هو الذي أبدع النفس  
الكلية أو البدع الثاني الذي رمز إليه في القرآن الكريم « بالروح  
المحفوظ » وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التي للعقل الكلّي  
إلا أن العقل الكلّي كان أسبق في الوجود وإلى توحيد الله  
ونزبه فيه فبذلك كان العقل الكلّي أسبق من النفس الكلية  
وأفضل فسمى « بالسابق » وصحيت النفس الكلية « بالتالي »  
وبواسطة العقل الكلّي والنفس الكلية وجدت جميع البدعت  
الروحانية والمخلوقات الجسمانية بل كل ما نشاهده في هذه الدنيا من  
جواد ونبات وحيوان وإنسان ، وما في السموات من نجوم  
وكواكب ، فالخالق عند الإسماعيلية إذن هو العقل الكلّي والنفس  
الكلية وبمعنى آخر إن ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى  
خلقه الإسماعيلية على العقل الكلّي فهو الإله عند الإسماعيلية ،  
وإذا ذكر الله عند الإسماعيلية فالتقصود هو العقل الكلّي ، فإذا

عرفنا ذلك كله استطعنا أن نقول إنهم لم يأتوا بهذه الآراء  
 الفلسفية عبثاً ، بل جاءوا بها لإسباغ صفة خاصة على الإمام الذي  
 قالوا إنه من البشر ، ذلك أنهم ذهبوا إلى أن العقل الكلى في  
 العالم العلوى يقابله الإمام في العالم الجسائى ، ومعنى هذا عندهم أن  
 كل الأسماء والصفات التى خلعت على العقل الكلى هى أيضاً  
 صفات وأسماء للإمام لأن الإمام مَقْلٌ للعقل الكلى ، فأسماء الله  
 الحسنى التى قالوا إنها أسماء العقل الكلى هى أسماء للإمام ، فالإمام  
 إذن هو الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، المتتقم الجبار .. الخ  
 من الأسماء ، ولذلك قل ابن هانى "الأندلسى الشاعر فى مدح  
 العزيز لدين الله الفاطمى :

ما شئت لا ما شامت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار  
 وقال الشاعر أبو الحسن الأخفش فى مدح الأصم بأحكام الله :  
 بشر فى المين إلا أنه من طريق العقل نور وهدى  
 جل أن تدركه أعيننا وتعالى أن نراه جسدا  
 تدرك الأفكار فيه بانيها كاد من إجلاله أن يعبد  
 ويقول شاعر آخر :

هذا أمير المؤمنين يجلس أبصرت فيه الوحي والتنزيلا  
 وإذا تشل راكباً فى موكب عاقبت تحت ركابه جبريلا  
 ويقول الأمير تميم بن العزيز لدين الله الفاطمى فى مدح أخيه  
 العزيز بالله :

ما أنت دون ملوك العالمين سوى . روح من القدس في جسم من البشر  
 نور الحليف شامخ منك جوهره . ناهياً جاز حد الشمس والقمر  
 جميع من العلة الأولى التي سبقت . خلق الهيولى وبسط الأرض والندى  
 وهكذا أخذ الشعراء . يمدحون أعتهم بهذه الصفات الباطنية  
 التي لم يزل بها سوام ، ذلك بالرغم من قولهم بأن الأئمة مخلوقون  
 من الطين وفي ذلك يقول الشاعر للزيد الدين داعي الدعوة :  
 قد خلقتم من طينة وخلقنا نحن منها ، لكن بدا ترتيب  
 ولكن هذا الداعي الشاعر ما قد قال :

نعم قد أقاضها في البرايا فتخلت عن شكرها أنعم  
 ثم نهايت كل من ' برا' الله ونالته خلقه والسلام  
 فإليهم تنعى النفوس إذ راحت الأرض تنعى الأجسام  
 ويجب أن تلاحظ أن هذه الصفات التي سبقتها على الأئمة  
 والتي جعلته مثلاً للمقل الكلي ، لم يستطيعوا أن يصرحوا بها  
 للعامة أو المتدينين من المستجيبين ، بل لم يكن يعرفها إلا من  
 استمع إلى داعي الدعوة نفسه في المجالس التي كان يقدّمها للخاصة  
 فقط ، أما أمام جمهور الناس ولا سيما في الدور القاطن بمصر  
 فلم يكن الدعوة بقادرين على الإبانة عن هذه العقائد أو الإشارة  
 إليها ، وإلا كان ينالهم المصريون ما ناله دعاة تاليه الحاكم بأمر الله ،  
 ولذلك عمد الدعاة الاسماعيلية في مصر إلى إخفاء أكثر عقائدهم  
 السرية عن الناس ولم يظهروا منها إلا ما كان هيناً رفيقاً بالشعب ،



وما كان لا يخالف العقائد التي كانت سائدة في مصر ، وهي الغيبة  
 عن مذهب الشافعي ومذهب مالك ، حتى إننا إنفا درسنا كتب  
 الفقه الاسماعيلي التي وضعت في النور الفاطمي مثل كتاب « دعائم  
 الإسلام » أو كتاب « الاختصار » للقاضي النعمان نجد أنها  
 قريبة كل القرب من مذهب الشافعي ومالك إلا ما جاء في هذه  
 الكتب عن ولاية الإمام ووجوب طاعته ، كان ذلك كله أمام  
 جمهرة الناس ، أما بين الخاصة من الدعاة وكبار رجال الدولة  
 ومن يأكلون على كل اللوائذ ، فكان لهم أن يستمعوا إلى هذه  
 الآراء السرية التي كان يلقبها داعي الدعاة ، وفيها مثل هذه العقائد  
 التي تبجل من الآئمة شبه آلهة ، وهذه المجالس التي كان يلقبها  
 داعي الدعاة هي التي تضم العبادة العلمية أي علم الباطن ، فقد  
 ذهب الاسماعيلية إلى أن لكل شيء ظاهراً محسوساً وأوفاً باطنياً  
 لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الآئمة ، وهؤلاء الآئمة يودعون  
 هذا العلم الباطن لكبار الدعاة بقدر مخصوص ، بل ذهب  
 الاسماعيلية إلى أبعد من ذلك فقالوا إن التأويل الباطن من  
 عند الله خص به علي بن أبي طالب ، فكما أن الرسول صلى الله  
 عليه وسلم خص بالتحليل فكذلك علي بن أبي طالب فقد خص  
 بالتأويل ، ومن ذلك المشاركة بين النبي وعلي ، فقالوا إن من  
 التأويل الباطن وضرورته واستدلوا على ذلك بقصة نبي الله موسى  
 عليه السلام مع الرجل الصالح المذكورة في سورة الكهف

وكيف أن موسى عليه السلام وهو نبي مرسل من أولاد العزم لم يمنحه الله علم الباطن بينما منح هذا العلم إلى الرجل الصالح وهو ليس بنبي مرسل وليس من أولى العزم ، وهكذا كان التأويل الباطن إلى علي بن أبي طالب وهذا أورثه الأئمة من أعتابه بأمر من الله ، وعلى ذلك فالأئمة هم الذين يدلون الناس على أسرار الدين وليس لأحد غيرهم هذا الحق الذي جاءهم بأمر الله تعالى ، ولكن ليس لهم أن يطلعوا أحداً على أسرار هذا الدين إلا لمن يستحق ذلك فقط ، ومن ثم ستر الاسماعيلية علوم الباطن إلا عن كبار الدعاة فقط ، وستروا هذه العلوم وما كتبه كبار الدعاة عن العالم كله وظلت محجوبة عن العالم هذه القرون المديدة إلى أن قدر لنا الحصول على بعضها وبذلك استطعنا الحديث عنهم ، وقد نظم الداعي للزيد في الدين عقيدة التأويل الباطن ووجوبه وضرورته ستره إلا لمن كان يستحقه بقوله :

وإن أجزنا ظاهر الكلام	في ذلك أسلحناه للخصام
ففي الاختلافات القرآن كثرة	من كل قول مع كل زعمه
يا قوم سر اللكوت هنا	يجعل أسلحتكم جنانا
سر له صاحب موسى المظفر	قال : متى لن نستطيع صبرا
وقال موسى : سوف ألقى صابرا	علم يكن إذ ذاك إلا قاصرا
تدبروا القصة مانا بما	من قصها إن لم تكونوا نوما
لكم أن تحسبوها سمرا	إذن أسأتم للنفوس النظرا

وذهب - معنى - ضمة - كلام : ككل - نور : ضمة - غلام  
 بأن بقاء الحب في السنايل في نقل من أحرز المائل  
 وإنما باب المعاني مقفل وأكثر الألفاء عنها غفل  
 مفتاحه أضحي بأيدي خزنة بهم إلى علمه قد خزنة  
 كما يلوذ الخلق طرا بهم خصوا بهذا النور من دهرهم  
 فنظرة التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية تلخص كما قلنا  
 في أن الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي  
 تحيط بالإنسان ، فيجب إذن أن يستدل بما في الطبيعة وبما على  
 وجه الأرض على فهم حقيقة الدين ، وجمالوا المخلوقات قسمين :  
 قسما ظاهرا للعيان ، وقسما باطنا خفيا ، فالظاهر يدل على الباطن ،  
 لجسم الإنسان مثلا ظاهر وباطنه النفس وهكذا ، فما ظهر من  
 أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في ظاهر آيات القرآن  
 هي معاني يعرفها العامة وينطق بها علماء أهل السنة و فرق الشيعة  
 الأخرى ، ولكن لسكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنا  
 لا يلمسه إلا الأئمة وكبار دعاة ، وبالرغم من أنهم قالوا إن التأويل  
 من عند الله ، وأنه خص بها علي بن أبي طالب والأئمة من نسبه  
 تراجم مئة أخرى يقولون إن التأويل من خصائص حجة الإمام  
 أو حاشى دعاة ، وقد رأينا كيف كان كبار النفاة مختلفين في

آرائهم ، ومن ثم اختلف التأويل الباطن عندهم باختلاف شخصية القامى الذى إليه التأويل ، وباختلاف موطن القامى وزمن وجوده ، فإننا قرأنا تأويلات القامى منصور الذين قبل ظهور الدولة الفاطمية بالغرب ، نَجدها تعيل إلى القلوى وهى أشبه بما كان يقوله أصحاب فرق النحلة مثل الخطابية والسلمانية وغيرها وتأويلات دعاة فارس بعد قيام الدولة الاسماعيليه الفاطمية بالغرب تختلف من تأويلات الدعاة الذين كانوا بالقرب من الأئمة بالغرب ، ففيها التأليه الصريح للأئمة وفيها طرح الفرائض الدنيوية ، فتأويل الصلاة عندهم هو الاتجاه القلبي للإمام ، وتأويل الصوم هو عدم إنشاء أسرار الدعوة ، وتأويل الحج هو زيارة الإمام ، وهكذا ينتهى بهم التأويل فى فارس فى هذا الوقت إلى طرح كل أركان الدين ، بخلاف ما كان عليه الأمر فى بلاد الغرب إذ لم يصرحوا بهذه الآراء إلا فى كتبهم السريّة الخاصة ، أما التأويل الباطن فى العصر الفاطمى فى مصر فقد خفف هذا القلوى إلى درجة أن الدعاة اضطروا إلى استنكاره واستبشاعه أمام الشعب ، فقالوا بأن تأويل الصلاة هى دعوة الحق ، وأن الصيام هو فى الباطن عدم الحديث أسوة بما جاء فى القرآن الكريم فى سورة مريم « إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً » وهكذا اضطرت الدعاة واللؤولون فى العصر الفاطمى فى مصر إلى التظاهر بتخفيف

تأويلاتهم التي كانت قبل هذا العصر ، بل اضطروا إلى تغيير التأويل الذي ظهر في بلاد المغرب قبل استقرارهم في مصر ، فمثلاً في تأويل قوله تعالى « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » قال الداعي بالمغرب إن الفجر هو علي بن أبي طالب وكل إمام بعده ، وأن الشفع والوتر هما الحسن والحسين ولدا علي بن أبي طالب ، ولكن الداعي في مصر أوكل هذه الآية إلى أن « الفجر » هو المهدي المنتظر لأنه يظهر بعد انتشار الضلال ، كما أن الفجر يأتي بعد شدة الظلام ، فبالرغم من أن تأويل الداعي بالمغرب يتفق في هدفه الأخير مع تأويل الداعي بمصر ، فإن هذا الأخير كان أكثر منه حذراً في التصريح بأن الفجر هو الإمام ، مع أن الإمام في عصره هو مهدي عصره ؛ معنى هذا كله أن التأويل في مصر القاطنية كان أكثر اعتدالاً مما كان عليه التأويل في غير مصر ، وبعد انتقال الدعوة من مصر إلى اليمن وأصبحت تعرف بالدعوة الاسماعيلية الطليعية ، مادت التأويلات الباطنة صفة أخرى إلى القلق ، مع أن دعاة اليمن أخذوا أكثر تأويلاتهم عن دعاة مصر ، وبسبب دخول الأتمة في السمر ، وعدم وجود دولة للطائفة ، عاد الاسماعيلية إلى التقية والسرية بحيث لا يسمح إلا لكبار الطائفة فقط بمعرفة أسرار التأويل ، وظل الأمر على ذلك إلى الآن عند طائفة البحرة بفرعها العلوي والسلطاني .

أما الاسماعيلية الزارية (الاسماعيلية الشرقية في فارس) فقد اعتنقوا العمل بالتأويل الباطن من دون الظاهر، وتركوا الظاهر جملة وتفصيلا. والذي يظهر لي من التأويل الباطن في كل أدوار الاسماعيلية أنه وضع مقدمة غرض واحد فقط وهو إغداق صفات التمجيد والتفخيم على الأئمة وعلى الدعوة الاسماعيلية، بحيث سهل علينا أن نؤول على نحو ما كانوا يؤولون، فشكل فضيلة وردت في القرآن الكريم أو في الأحاديث النبوية نؤول على أنها الإمام لأنهم قالوا إن القرآن الكريم نفسه تأويله الإمام، والأئمة هم الأئمة، والشمس الإمام، والقمر الإمام، والسماء هي الدعوة، والعرش الدعوة، والأرض الدعوة، والجبال هم الدعوة، واللائحة هم الدعوة، والطاقوت والأسنام والشياطين هم أعداء الأئمة، وهكذا كان تأويلهم الباطن مما يجعلنا نستطيع أن نسايرهم في تأويلهم ونقيس على ما قالوه.

ولكن تأويلهم الباطن قصص الأنبياء لا يمكن أن يقول بها إلا من قرأها في كتبهم ولا يمكن أن يقيس على ما قالوه، فهم يذهبون إلى أن التفسيرات التي ذكرها المفكرون جعلوا الأنبياء مذنبين خاطئين بينا الأنبياء معصومون عن كل تقصير وهي عصمة ذاتية، لذلك يستنكر الاسماعيلية تفسير المفسرين، فتلا ما قاله المفكرون عن قصة آدم وخروجه من الجنة بسبب ثمرة أكلها لم يقبله الاسماعيلية، فقد قال أحد دعاةهم في الرد على قول هؤلاء

الفسرين : « جاء في التفسير أن الله أسكن آدم الجنة وأباح له ثمراتها غير الشجرة المثناة منها ، فقلوا هي الحنطة ، والحنطة من حيز الزروع . لا من حيلة الأشجار ، وقلوا هي التين أيضاً ، وهذا الكلام خارج عن المقادير أن يكون صفوة الله سبحانه الذي بسطفيه ويسجد له ملائكته ويسبح له جنته يشع عليه بنبتة من نباتها أو من شجرة من شجراتها ، فلن تراه كأن يدخرها لأمر منه إنساناً وأهل من رتبته رتبة ومن مكانه مكاناً ، وبخل الرء بالشيء يقتضيه حاجة إلى الاستئثار به أو إعداده إياه لمن يكرم عليه ، ولا حاجة بالله إلى طعامه يطعمه فيكون قد ادخر ذلك لنفسه ، وإن كان جميع ذلك محتسباً من الله سبحانه مستحيلاً ، وواجب أن يطلب العاقل سبيلاً ينقذ عن الله سبحانه في هذه الضائقة ضيق الهم ، وعن صفوة آدم منة الشره المفرط والهم » . أما ما قلناه علماء الإسماعيلية في تأويلهم الباطن فهو أن آدم لم يكن أول المخلوق كما تقول جميع الأديان السماوية ، إنما كان قبله عالم عاش بينهم آدم ، وأن آدم هذا كان له حبة هو التي رمز إليه في القرآن الكريم بحواء ، أي أن حواء عندهم لم تكن أنثى وليست زوجة آدم ، إنما كانت أقرب النماة إلى آدم ، وأن آدم وحواء كانا يتعمقان في دعوة الإمام الذي كان قبل آدم وهي دعوة إسماعيلية وهي التي عبر عنها الله بالجنة ، فتطلع آدم إلى حبة دنية أعلا من مراتبه ، فأخرجه الإمام من الدعوة ،

ولكن آدم عاد إليها بعد أن تاب الإمام عليه ؛ هذا هو ملخص تأويل قصة آدم عند بعض دعاة الاسماعيلية ، وقد ذكرنا من قبل اختلاف الدعاة في التأويل ، فهناك تأويلات أخرى لا حاجة إلى ذكرها هنا ، وكذلك قولهم في تفسير ما جاء عن إبراهيم الخليل عليه السلام في القرآن الكريم « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكون من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى يرى مما تشركون » فالكواكب هم الدعاة الذين أخذ عنهم إبراهيم علوم الدعوة الاسماعيلية حتى انتهى ما عندهم فأتجه إلى الأخذ عن حجة النبي التي كان قبله ، فلما أتى على جميع ما عنده من العلوم طلب العلم عن النبي نفسه حتى هبأ النبي إلى أن يحمل محله بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وعلى هذا النحو يسير التأويل الباطن الذي يختلف ما عليه جمهور المفسرين والمفساء ، وإذا بحثنا عن السبب الذي من أجله اتجهوا في تأويل قصص الأنبياء إلى هذا الاتجاه ، نجد أن من عقائدهم ما أطلقوا عليه « نظرية الدور » وتتلخص هذه النظرية في أن الحياة تتجدد وهي مقسمة إلى فترات ست وعلى رأس كل فترة نبي ، وبين كل نبي وآخر أئمة يختلفون النبي في شئون دينهم ، وأن ما يحدث في فترة من هذه الفترات يحدث ما يشبهه تماماً في



الغفرات الأخرى ، وروى في ذلك الحديث النبوي « تسلكون سبل من سبقكم حذو القذة بالقذة والتعل بالتعل حتى لو دخلوا حشرم صب لمخلعوه » فما حدث في عصر آدم عليه السلام هو نفس ما حدث في عصر إبراهيم وفي عصر نوح وموسى وهيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك كانت صفات هؤلاء الأنبياء واحدة بحيث نستطيع أن نقول مثلاً إن موسى هو آدم عصره وهو نوح عصره وهيسى عصره . . الخ ، وأن الأئمة الذين خلفوا الأنبياء في مرتبة واحدة أيضاً وصفات واحدة ، ونتيجة ذلك أن إمام العصر وهو وارث الأنبياء جميعاً وكل من سبقه من الأئمة فهو صاحب كل صفات الأنبياء والأئمة السابقين ، ولذلك كان يوسف الإمام الإسماعيلي في النور القاطن بأنه خليل الله وكليم الله وأنه الصبح الذي يحيي الموتى إلى غير ذلك من خصائص الأنبياء ، وبناء على ذلك نستطيع أن نفهم قول شرايهم يخاطب إمامه صاحب القامرة :

سلام على العزة الطاهرة	وأعلا بأوارها الزاهرة
سلام بدياً على آدم	أبي الخلق باديه والهاجرة
سلام على من بطوفانه	أديرت على من بنى النائرة
سلام على من أمانه السلام	غداة أحقت به النائرة
سلام على قاهر بالمعا	عصاة فراعنة جائرة
سلام على الروح عيسى الذي	يمشي به شرفت ناسره

سلام على المصطفى أحد      ولي الشفاعة في الآخرة  
سلام على الرضى حيدر      وأبنائه الأنجم الزاهرة  
سلام عليك فحصولهم      لديك أبا صاحب القاهره  
ويقوم شاعر آخر في مدح إمامه :

يا مسيحاً يكلم الناس طفلاً      خل في شأنه أخو القلوب يا  
لست دون السبح سماه ربا      أهل شرك ولا تسميك ربا

فهكذا كان رأيهم في قصص الأنبياء فقد أولوا ما ورد في القرآن الكريم عن الأنبياء تأويلاً يتفق مع هدفهم في إسباغ فضائل خاصة على الأئمة ، بل زى في كثير من كتبهم السرية أن الإمام قائم الزمان من الأنبياء أولى العزم ولكننا وقد عرفنا شيئاً عن عقيدة الاسماعيليه في الإمامة ، وما يهدف إليه علم الباطن ، وجب أن نفرق بين نوعين من الإمامة عندهم ، فهناك إمام « مستودع » و « إمام مستقر » ، ولتقريب الفرق بينهما إلى الأذهان ، نعرض أن أحد الأئمة توفي وكان ولي عهده طفلاً صغيراً أو في سن لا يستطيع معه أن يباشر سلطته الدينية والزمنية ، عندئذ يختار أقرب أقاربه إليه ليتولى السلطان ويلقب بالإمام المستودع بدلاً من الإمام الحقيقي الصغير حتى يشب هذا ويضم ميراثه منه فيصبح صاحب مرتبتي « الاستبداد والاستقرار » والإمام المستودع لا يتمتع بسلطان روحي ، وليس له أن يتقل

حرية الإمامة إلى أحد أبناءه ، بل يحتفظ بمرتبة الإمامة لصاحبها الشرعي ونعزم باسم الإمام الشرعي ، وهو مع ذلك كله معصوم عصمة مكتسبة من مرتبته ، أما الإمام المستمر فهو صاحب النص الشرعي وصاحب السلطان الديني وعصمته ذاتية ، وهو صاحب الصفات التي سبق الحديث عنها . وعندما كان الأئمة في دور الستر ، اتخذوا أئمة مستودعين تسمية لأعدائهم وسترا على صاحب الحق الشرعي في الإمامة ، وربما كان كثرة الأئمة المستودعين في دور الستر من أسباب عدم الوصول إلى معرفة حقيقة نسب الفاطميين ، وسبب هذا الاضطراب بين المؤرخين في أسماء الأئمة حتى وقتنا هذا حتى إن الأستاذ برنارد لويس الأستاذ بجامعة لندن يذهب إلى أن عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب كان إماماً مستودعاً وأن القائم بأمر الله الذي وليه في الحكم هو الإمام المستمر وعلى ذلك فالقائم ليس ابن المهدي ، ولكن هذه كلها افتراضات لا يمكن أن نصل فيها إلى نتيجة حاسمة .

ويذهب أكثر الذين تحدثوا عن عقائد الاسماعيلية من القدماء والحديثين بأن الاسماعيلية يقولون بالتناسخ ، أي انتقال الروح بعد الموت إلى إنسان آخر أو إلى حيوان أو نبات على نحو ما نراه في العقيدة البوذية مثلاً ، ولكن بعد أن وصلتنا كتب الدعوة الاسماعيلية السرية نقول إن الاسماعيلية لا يدينون بالتناسخ بل ذهبوا إلى أن الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي

( جسمه ) إلى ما يجانبه من تراب ، وينتقل عنصره الروحاني ( الروح ) إلى اللأ الأعلى ، فإن كان الإنسان في حياته مؤمناً بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكاً مديراً ، وإن كان شريكاً عاصياً لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام ، وهذا هو عندهم تأويل الثواب والعقاب ، فالجنة عندهم هي طاعة الإمام والتأخر عن الخروج عن طاعة الإمام ، وكثيراً ما أرى في كتبهم اصطلاح « للمسخ » بمعنى أنه خرج عن الدعوة الاسماعيليه بعد أن كان من أتباعها ، بينما المصطلح القلبي للمسخ هو انتقال الروح إلى حيوان .

كذلك ذهب القدماء إلى القول بأن الاسماعيليه كانوا بالحلول بمعنى حلول اللاهوت في الأئمة ، والحقيقة أن الاسماعيليه لم ينهبوا إلى هذه العقيدة بصريح العبارة ، إنما لجأوا إلى القول بأن الإمام خلق من نور الله أو أن نور الله حل به ، وقد انتشرت فكرة الحلول بين الاسماعيليه في فارس في دور السر ثم خفت بعض الشيء في الدور الفاطمي ثم عادت إلى الظهور بوضوح وسراحة في دور الاسماعيليه الغزارية ، أما عند البهرة فهي موجودة في شيء من الغموض أو قل في شيء من التلاعب اللفظي مثل ما كانت في الدور الفاطمي ، ونحن نعلم أن طائفة الدروز كانوا من الاسماعيليه ثم انشقوا عنهم بسبب تصريحهم بأن الله حل في الحاكم

بأمر الله فأصبح هو المعبود ، كما قالوا بالتناسخ وغيره من الآراء  
التي أبعدتهم عن معتقدات الاسماعيلية .

ويطلق القديس اسم « السبعية » على الاسماعيلية للقول بأن  
المسلم بنى على أصول سباعية ، وقد رد الداعي المؤيد في الدين على  
ذلك في كتاب « المجالس المؤيدة » بقوله : « فأما موضوع اسم  
الرفض والتسبيع من جفهم عليكم فهو عظم ، . . وأما التسبيع  
فهو نمت أصل من جملة أصول كثيرة تركوا وحكم بها واقتصروا  
على واحد من جملتها وذلك أن الديانة مبناهما توحيد الواحد الأحد  
الصمد سبحانه ، والطريق إلى معرفة التوحيد معرفة ازدواج  
الأشياء ، قال الله تعالى « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها » .  
وقال رسول الله ( ص ) « خلق الله الأشياء مزدوجة ليكون  
دلالة على وحدانيته » . وهذا أصل تاه فيه الثنوية ، والثلاثة أصل  
تاه فيه النصارى ، والأربعة التي هي مقابل الأركان الأربعة أصل ،  
والخمس التي هي بمقابلة الحواس الخمس أصل ، والستة التي هي  
بمقابلة الألبم الستة فيها خلق الله السموات والأرض أصل ،  
والسبعة أصل ، والثمانية التي هي بمقابلة أبواب الجنة الثمانية وحلة  
العرش أصل ، والتسعة التي هي بمقابلة الآيات التسع أصل ،  
والعشرة التي هي بمقابلة ليال عشر وغير ذلك أصل ، وأحد عشر  
التي هي بمقابلة تكبيرات الصلاة كل ركعتين أصل ، واثنى عشرة  
التي هي بمقابلة اثني عشر نبياً أصل ، وسبع عشر التي هي بمقابلة

الصلاة أصل ، وتسعة عشر التي هي بمثابة خزانة النار أصل ،  
والأصول غير ذلك كثيرة ، فلا وجه للتخصيص بالسبعة ، وهكذا  
رد المباحي الاسماعيلي على من رماهم بالتسبيع ، والحقيقة أن  
الاسماعيلية أخذوا ما قاله الفلاسفة الفيتاغوريون القدماء الذين  
جعلوا كل الأعداد أصولا لعقيدهم ، وسببوا آراء الفيتاغوريين  
بالصبغة الإسلامية على حسب العقيدة الاسماعيلية ، ومن ثم ظهرت  
عندهم عقائدهم في الأعداد وما يقابلها من أصول دينية دون أن  
يقفوا على عدد بعينه ، فلو اُحد هو النقل الكلي أو القلم ، والأثنان  
هما النقل الكلي والنفس الكلية أي القلم والروح ، والثلاثة هم  
محمد وعلي وفاطمة ، والخمسة هم القلم واللوح وميكائيل وإسرائيل  
وجبريل ، وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وهم الإمام  
والحجة والمهدي والأذن والكاسر ، وهكذا جعلوا لكل عدد  
ما يقابله من الدين . وكانوا متأثرين في ذلك بالفلسفة الفيتاغورية .  
والذين يدرسون عقائد الاسماعيلية يستطيعون أن يدركوا أن هذه  
العقائد مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والآراء الفلسفية  
القديمية التي عرفت وانتشرت في الأقطار الإسلامية منذ زمن بعيد  
بتأثير امتزاج المسلمين بنهرهم من أصحاب الديانات المختلفة والآراء  
التيبانية ، وأن الاسماعيلية أخذوا هذه الآراء والمعتقدات  
وأخضعوها لفكرتهم عن الإمامة بعد أن صبغوها بالصبغة  
الإسلامية ، حتى إن الباحث يستطيع أن يتعقب أكثر عقائد

الاسماعيلية ويردها إلى أصولها القديمة ، فتلا قال قداماء المصريين  
 بانتقال روح فرعون بعد موته إلى العالم العلوى تصبح من الآلهة  
 المؤثرة في العالم وبهذه الحالة ذهب الاسماعيلية بأن روح الإمام  
 تصبح بعد وفاته ملكاً أو عقلاً من العقول الروحانية الدبيرة لعالم  
 الكون الفساد ، وأخذ الاسماعيلية عن أفلاطون نظرية المثل التي  
 تقول بأن ما في العالم الحسى أشباح لمثل في العالم العلوى فقال  
 الاسماعيلية إن ما في عالم الدين مُثل لمثولات في العالم الروحاني ،  
 وأخذ الاسماعيلية رأى الأفلاطونية الحديثة في الإبداع وظهور  
 النفس الكلية عن العقل الكلى ، وأن العالم خلق بواسطة  
 اللوحوس ( الكلمة ) جاء الاسماعيلية وقلوا إن الكلمة التي  
 خلق منها العالم هي كلمة « كُنْ » التي وردت في الآية القرآنية  
 « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وأن كلمة كن  
 مكونة من الكاف والنون ، فالكاف رمز على القلم أو العقل  
 الكلى ، والنون رمز على اللوح أى النفس الكلية ، وبهذا فسر  
 الاسماعيلية قوله تعالى « نون والقلم » أن الله يقسم بأمر مخلوقين  
 عنده وهما اللوح والقلم ، وفيها يقول الشاعر :

يبدع شكر ووسيع حمد	ليبدع الكاف الرفيع المجد
أكله سبحانه إذ أبدعه	مبتدئاً واخترع النون معه
ثم أقام منهما ما قد علا	خلفة وما لتقل سفلا
من فلك طول الزمان دائر	ومن شهاب ظالم وغائر

والأرض لما أصبحت مهادا ومن جبال رسخت أوتادها  
وحيون باختلاف الجنس كلمة فيها أداء الحس  
ومن أناس سخروها عنوه إذا أصبحوا منها العمرى الصفوه  
بأنس من أنس مترجه كاشفة من عشواء كل مظله  
واقتبسوا من الأفلاطونية الحديثة كل فلسفة القيوونات  
وترتيبها بحيث إذا قرأنا كتب الحقيقة الاسماعيليه نجد أنفسنا أطم  
الفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

ولعل أكثر الآراء أثرأ في الاسماعيليه هذه الآراء التي في  
كتب الآباء السحيين ، ففي كتب الاسماعيليه التي ألقت قبل  
دور الاسماعيليه الفاطميه في مصر ، أي في الدور الغربي آراء هي  
من صميم العقيدة السحييه ، بل صرح جعفر بن منصور الهيم في  
كتابه « أسرار النطقاء » و « سرائر النطقاء » بأن ترتيب المذاهب  
هو نفس ترتيب رجال الكنيسة السحييه ، واعتراف دقة  
الاسماعيليه بصلب السبح هو تأثير قوى من تعاليم السحييه ،  
ونحن نعلم أن القديس أوجستين كان من أوائل الذين أولوا  
الكتاب القدس تأويلا باطلاً ، فجاء الاسماعيليه وأولوا الكتب  
للقدسة بما فيها القرآن الكريم ، وفي الدور الفاطمي يحضر نجد  
الهايم أحمد حميد الدين الكرمانى مثلاً يستشهد بآيات من التوراة  
والإنجيل ويؤولها تأويلاً يتفق مع عقيدته في الإمامة ، بل يجعل  
آيات التوراة تشير إلى إلهه . كل ذلك بتأثير السحييه على العقيدة



الاسماعيلية تأثيراً جليلاً مسيحياً مصر يقولون إن المزمع لدين الله  
اعتنق المسيحية وهو قول لا أساس له من التاريخ .

فالمقائد الاسماعيلية إذن مجموعة آراء مختلفة تطورت من بلد  
إلى آخر ومن زمن إلى زمن بحيث يصعب دراستها ومعرفة ما  
فكأنوا يقولون بأراء في بلد ويقولون بغيرها في بلد آخر ،  
أو يأتون بنقيضها بعد فترة من الزمن ، وقد استفاد الاسماعيلية  
من هذا التطور وذلك الاختلاف فإذا جادت أقدامهم في مسألة من  
المسائل فهو ينكر نسبة هذه المسألة إلى الاسماعيلية ، فإذا جابهته  
بها في كتاب من كتبهم فهو إما ينكر نسبة الكتاب إلى  
الاسماعيلية أو أخرج لك كتاباً آخر من كتبهم به ما يناقض  
ما في الكتاب الأول ، وأذكر أني كنت أناقش أحد علماء  
البهرة في مسألة دقيقة : وهي قولهم بأن محمد بن اسماعيل بن جعفر  
الصادق هو الناطق السابع ( أي النبي السابع ) فإذا به ينكر  
هذا القول إنكاراً تاماً ، فلما ذكرت له أسماء كتبهم التي بها هذا  
القول ، ذهب إلى أن جميع هذه الكتب وقع بها تحريف من النسخ ،  
وأن النسخ الصحيحة من هذه الكتب في خزانة الدعوة بالهند ،  
ثم بعد عدة سنوات قدر لي أن ألتقي به في الهند ، يل في البلد  
التي به خزانة كتب دعوتهم ، فطلبت منه أن يطلعني على النسخ  
الصحيحة التي يحتفظون بها فوعده ، وانتظرت أن يني بوعده ،

ولكنني عدت من الهند دون أن ألقاه مرة أخرى .



( وبعد ) فبالرغم من الأبحاث الجديدة التي ظهرت بمختلف اللغات في الربع قرن الأخير عن الاسماعيلية فإن هناك عدة نواحي لا تزال غامضة ، وبحال الحديث عن الاسماعيلية فوسمة لشعب نواحيها واختلاف آرائها ، ثم إن أكثر كتب الباطنة لا تزال مجهولة أو مستورة في خزائن الطائفة ، فلا تزال دراسة الاسماعيلية تحبر وتحتاج إلى جهود ومثابة حتى تظهر بجلاء ، وتوضح معالم هذه الطائفة التي كان لها أثرها القوي في كل بلد ملكوه ، ونحن في مصر الآن بالرغم من عدم وجود مصري واحد على مذهب الاسماعيلية لا تزال متأثرين بما كان عليه القوم في العصر الفاطمي ، فتحن لا تزال مقدس أهل البيت ، ولا تزال بني الأضرحة والقباب لأهل البيت ، ولا تزال تقيم الوالد لهم ، بل الخطب النبرية هي صودة من التي كانت في العصر الفاطمي .

ولا يزال أوشاب الناس في مصر يهجون بعضهم بعضاً بقولهم « يا عمر » ، وهذا أثر من آثار العصر الفاطمي إذ كانوا يسبون الصحابة ، ولا يزال الطبقة المتخلفة من المصريين يزعمون أنهم يرون علياً بن أبي طالب يحيمهم وهم في طريقهم إلى الحج ، إلى غير ذلك من معتقدات العوام التي هي من تراث العصر

الفاطمي الاسماعيلي لم يستطع الزمن أن يمحوها من عقول بعض  
 المصريين ، فإذا كان سلاطين العصر الأيوبي والعصر المملوكي  
 قد أكثروا من إنشاء المدارس لمقاومة الآراء الاسماعيلية  
 في مصر ، واتخذوا من العلم سلاحاً لمحاربة هذه الآراء ، فجدد بنا  
 أن ندرس الآراء الاسماعيلية على حقيقتها من كتبهم حتى يتبين  
 لنا حقيقتهم ؟

---

## المراجع الهامة

لما كانت طائفة الاسماعيلية فرقة من الفرق الدينية ، لها عقائدها الخاصة ، كان على الباحث أن يتجه في دراسته عن الاسماعيلية إلى الكتب التي وضعها علماء هذه الطائفة ، وهنا أهم هذه الكتب مرتبة حسب تاريخ المؤلفين . وهي الكتب التي رجينا إليها ، وقد قسمناها إلى قسمين : القسم الأول وهي كتب الدعوة القريبة ، والقسم الثاني كتب الدعوة الشرقية :

أولاً : كتب الدعوة القريبة وكتب ما قبل الاقسام :

١ - «رسالة الرشد والهداية» للداعي ابن حوشب منصور الهيم ، نشرها محمد كامل حسين بمجلة Collectanea العدد الأول سنة ١٩٤٨

٢ - «سرار النطقاء» لجعفر بن منصور الهيم ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين

٣ - «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور الهيم ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين

٤ - «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور الهيم ، نشره الأستاذ ستروتمان

- ٥ - « كتاب دعائم الإسلام » للقاضي النعمان بن محمد ، نشره الأستاذ آصف علي أصفري فيض
- ٦ - « كتاب المهمة في آداب اتباع الأئمة » ، للقاضي النعمان ابن محمد ، نشره محمد كامل حسين
- ٧ - « كتاب الاختصار » للقاضي النعمان بن محمد ، نشره محمد وحيد ميرزا
- ٨ - « تأويل دعائم الإسلام » للقاضي النعمان بن محمد ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين
- ٩ - « كتاب الزينة » لأبي حاتم الرازي ، نشره الدكتور حسين فيض الله الحمداني
- ١٠ - « كشف المحجوب » لأبي يعقوب السجستاني ، نشره الأستاذ هنري كوريان
- ١١ - « إثبات النبوة » لأبي يعقوب السجستاني ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين
- ١٢ - « البنابيع » لأبي يعقوب السجستاني ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين
- ١٣ - « ديوان ابن هاني الأندلسي » ، نشره الدكتور زاهد علي
- ١٤ - « ديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله » ، نشره محمد كامل حسين وآخرون .

- ١٥ - « سيرة الأستاذ جعفر » لأبي علي منصور الجوهري ، نشره محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شمعون
- ١٦ - « استنار الإمام » لأحمد بن إبراهيم النيسابوري ، نشره الأستاذ ايثاروف
- ١٧ - « إثبات الإلهية » لأحمد بن إبراهيم النيسابوري ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين
- ١٨ - « راحة العقل » لأحمد حميد الدين الكرمانى ، نشره محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي
- ١٩ - « الرسالة القدرية في معنى التوحيد » لأحمد حميد الدين الكرمانى ، نشره محمد كامل حسين
- ٢٠ - « رسالة النظم في مقابلة المواقف » لأحمد حميد الدين الكرمانى ، نشره محمد كامل حسين
- ٢١ - « مجموعة رسائل الكرمانى » لأحمد حميد الدين الكرمانى ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين
- ٢٢ - « مجموعة رسائل الدروز » ، مخطوطة بيد الكتب العصرية
- ٢٣ - « ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة » ، نشره محمد كامل حسين
- ٢٤ - « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » ، نشره محمد كامل حسين
- ٢٥ - « المجالس المؤيدية » ، مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين

- ٢٦- « ديوان ناصر خسرو » ، نشر بطهران سنة ١٩٢٩  
 ٢٧- « سفرنامه » لناصر خسرو ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب.  
 ٢٨- « روشانا نامه » لناصر خسرو ، نشر منير بادخشاني بيومباي.  
 ٢٩- « خوان الإخوان » لناصر خسرو ، نشر الدكتور يحيى

### الخشاب

- ٣٠- « كلامي بير » لناصر خسرو ، نشر الأستاذ و . إيفانوف  
 ٣١- « رسالة في الرد على من ينكر العالم الروحاني » لشهريل  
 ابن الحسن ، نسخة خطية بمكتبة محمد كامل حسين  
 ٣٢- « المجالس المستنصرية » للداعي ثقة الإمام علم الإسلام ،

### نشر محمد كامل حسين

- ٣٣- « المجالس المستنصرية » ينسب إلى المستنصر بالله ،  
 نشر الدكتور عبد النعم ماجد  
 ٣٤- « الهداية الأسرية » ينسب إلى الإمام الأمر بأحكام الله ،  
 نشر الأستاذ آصف علي أصغر فيضي

- ٣٥- « كنز الولد » للداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ،  
 مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين

- ٣٦- « مجموعة التريية » للداعي محمد بن طاهر الحارثي ،  
 مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين

- ٣٧- « الأنوار الطيفة » للداعي محمد بن طاهر الحارثي ،  
 مخطوط بمكتبة محمد كامل حسين

٣٨ - « تنبيه الطالبين » للداعي حاتم بن إبراهيم ، مخطوط بمكتبة

محمد كامل حسين

٣٩ - « الشمس الزاهرة » للداعي حاتم بن إبراهيم ، مخطوط

بمكتبة محمد كامل حسين

٤٠ - « زهر بنر الحقائق » للداعي حاتم بن إبراهيم ، مخطوط

بمكتبة محمد كامل حسين

٤١ - « دافع الباطل » للداعي علي بن محمد بن الوليد ، مخطوط

بمكتبة محمد كامل حسين

٤٢ - « الذخيرة » للداعي علي بن محمد بن الوليد ، مخطوط

بمكتبة محمد كامل حسين

٤٣ - « تاج المقائد » للداعي علي بن محمد بن الوليد ، مخطوط

بمكتبة محمد كامل حسين

٤٤ - « سمط الحقائق » للداعي علي بن حنظلة ، نشره الأستاذ

عباس المزاري الحادي ببغداد

٤٥ - « صيون الأخبار » للداعي عماد الدين إندريس ، مخطوط

بمكتبة محمد كامل حسين

٤٦ - « زهر المعاني » للداعي عماد الدين إندريس ، مخطوط بمكتبة

محمد كامل حسين

٤٧ - « الأدهار » للداعي حسن بن إتيوح ، مخطوط بمكتبة

محمد كامل حسين



ثانياً : كتب الدعوة الشرقية وهي كتب باللغة الفارسية  
ترجم بعضها إلى الإنجليزية :

- 1— True Meaning of Religious (Risala der Haqiqat i Din) by Shihabu'd din Shah. Translated and edited by Prof. W. Ivanow.
- 2— The Truth worshippers of Kurdistan, Ahli Haqq. Texts ed. and trans. by W. Ivanow.
- 3— Pandiyat-i Jawanmardi, ed. and Trans. by W. Ivanow

ثالثاً : أبحاث وكتب عن الاسماعيلية :

- ١ — « نظرية التل والمثول وأثرها في الشعر الفاطمي » ، لمحمد كامل حسين
- ٢ — « في أدب مصر الفاطمية » ، لمحمد كامل حسين
- ٣ — « أثر التشيع في الشعر المصري بعد الدولة الفاطمية » ،  
لمحمد كامل حسين
- ٤ — « بين التشيع وأدب الصوفية بمصر في عصر الأيوبيين  
والماليك » ، لمحمد كامل حسين
- ٥ — « الفاطميون في مصر » ، للدكتور حسن إبراهيم حسن
- ٦ — « عبيد الله الهدي » ، للدكتور حسن إبراهيم حسن  
والدكتور شرف

٧ - « العزيز لدين الله » ، الدكتور حسن إبراهيم حسن  
والدكتور شرف

٥ - « خمس رسائل إسماعيلية » ، للأستاذ عارف تاسي

٦ - « منتخبات إسماعيلية » ، الدكتور عادل المولى

- 1— The Rise of the Fatimids by W. Ivanow
- 2— A Guide to Ismaili Literature W. Ivanow
- 3— A creed of the Fatimids by W. Ivanow
- 4— Studies in Early Persian Ismailism by W. Ivanow
- 5— The alleged Founder of Ismailism by W. Ivanow
- 6— Nasiri Khusrow and Ismailism by W. Ivanow
- 7— Fragments relatifs à la Doctrine des Ismaélis  
by S. Guyard.
- 8— Essai sur l'Histoire des Ismaéliens de la  
Perse by M. C. DeFrémery.
- 9— Mémoire sur les Carmathes des Bahrain et  
les Fatimides by M. J. DeGoeje.
- 10— The Origins of Ismailism by B. Lewis.
- 11— Esquisse d'une bibliographie Carmathe by  
L. Massignon.
- 12— Histoire de l'ordre des Assassins by Von.  
Hammer. Trad. par Hellesl.
- 13— The Order of Assassins by Marshall G. S.  
Hodgson.

رابعاً : الكتب التاريخية العامة ، وكتب الطبقات  
والفرق ، وهي كتب معروفة للباحثين .

## المكتبة التاريخية

---

تظهر منها :

١ - المجلد في تاريخ الأندلس :

للمرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي

٢ - الإسلام في إسبانيا :

للككتور لطفى عبد البديع

٣ - التاريخ والتورخون في مصر في القرن التاسع عشر :

للأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال

٤ - طائفة الإسماعيلية . تاريخها ونظمها وعقائدها :

للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين

تظهر قريبا :

١ - الثورة الهدية وأصول المياسة البريطانية في السودان :

للككتور جلال يحيى

٢ - تاريخ السلاجقة :

للككتور عبد النعيم حسنين .

٣ - تطور السألة المصرية :

للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

٤ - دراسات في التاريخ البطلي :

للأستاذ الدكتور إبراهيم نصحي

٥ - المقول في التاريخ :

للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد

٦ - تاريخ إمبراطورية الروم تأليف شارل ديل

ترجمة الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي شمعة

٧ - موجز تاريخ الاشتراكية : تأليف نومان ما كثرى

ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى وزميليه .

٨ - داود باشا آخر المماليك :

للأستاذ عبد العزيز سليمان نوار

٩ - عمان وشرق أفريقية في عهد البوسعيد :

للأستاذ جمال زكريا قاسم

١٠ - مصر كما صورها هيروdot :

تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد بدوي والدكتور

مقر خفاجة .

١١ - الحرب أفريقية بين الروبة والاستعمار :

للأستاذ الشاطر بصلي عبد الجليل .

- ١٢ - الجبرنى وعصره :  
للأستاذ عبد القادر طهيات
- ١٣ - مدخل للحضارة الإسلامية :  
لدكتور محمد العلاقى
- ١٤ - ثورة إفريقيا :  
لدكتور محمد أنيس
- ١٥ - القاهرة والحياة الاجتماعية فيها فى عصر الأتراك العثمانيين :  
للأستاذ حسن عبد الوهاب .
- ١٦ - فتاة السويس :  
لدكتور عبد العزيز الشناوى
- ١٧ - الإقطاع فى أوروبا : تأليف جيزنهوف  
ترجمة الدكتور حسن حبشى
- ١٨ - فتح العرب فارس :  
للأستاذ أحمد إبراهيم الشريف
- ١٩ - سيف الدولة الحمدانى :  
للأستاذ مصطفى الشكعة
- ٢٠ - نظم الحكم عند اليونان والرومان :  
لدكتور لطفى عبد الوهاب
- ٢١ - صور من الحياة فى مصر فى عصر الرومان :  
لدكتور عبد اللطيف أحمد على

٢٢ - قصة التصور في الإسلام :

للدكتور جمال حمزة

٢٣ - التاريخ . فلسفته وأهدافه :

للأستاذ الدكتور أبو الفتوح رضوان

٢٤ - أوغندا بين الاستعمار البريطاني والكفاح الوطني :

للأستاذ محمد عبد النعم محمد

٢٥ - مائيتي :

للأستاذ محمود الحفيف